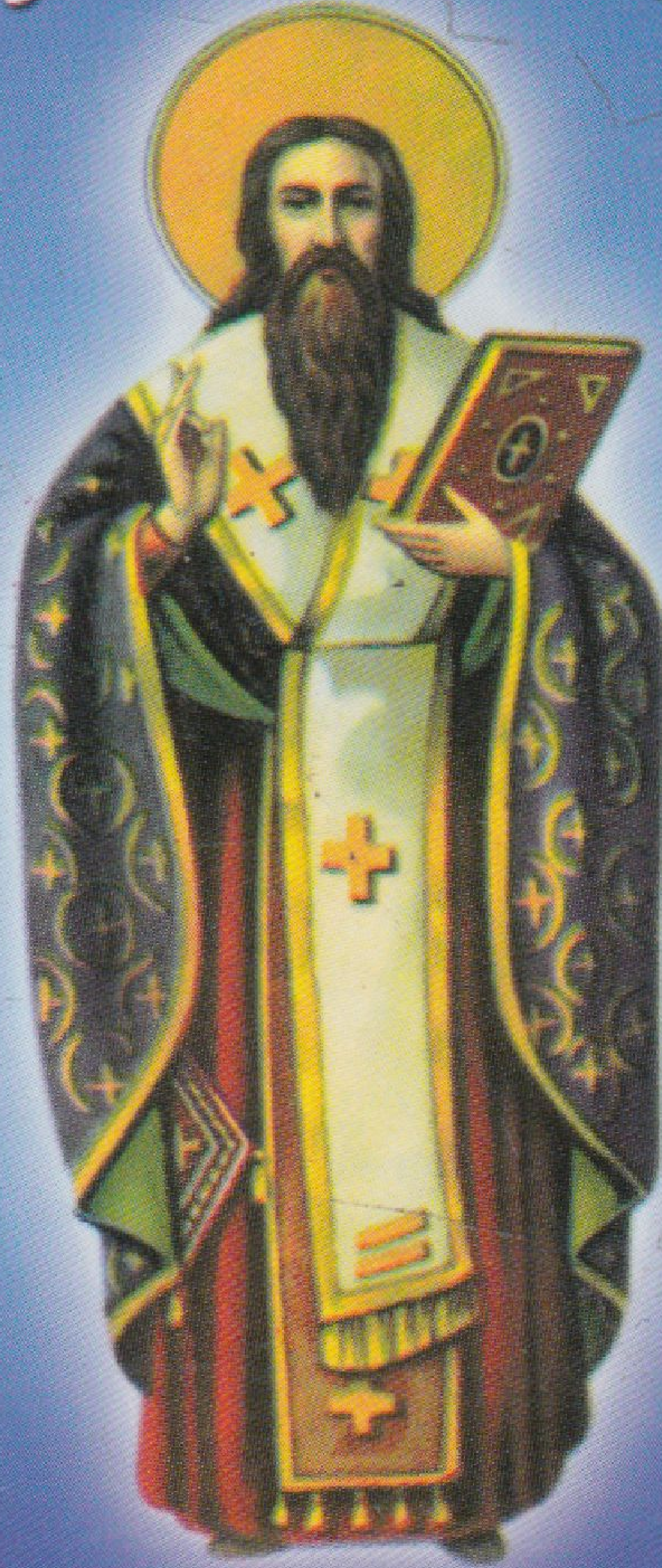
مكتبة المحبة

من سلسلة كتب التراث المسيحى القديم

رسالة خاصة للخُدَّام والمكرسين وكل الشعب



باقة من تعاليم

القديس باسيليوس الكبير

(القرن الرابع)

St. Basil The Great

- حياته وأهم مؤلفاته.
- تعاليمه الروحية الهامة.
- إجاباته على أسئلة عامة.

شرح وتبسيط وتعليق:

أرشيدياكون: د. ميخائيل مكسى إسكندر

مكتبة المحبة

من سلسلة كتب التراث المسيحي القديم

رسالة خاصة للخُدّام والمكرسيّن وكل الشعب:

باقة من تعاليم القديس باسيليوس الكبير

(القرن الرابع)

St. Basil The Great

- حياته وأهم مؤلفاته.
- تعاليمه الروحية الهامة.
- إجاباته على أسئلة عامة

شرح وتبسيط وتعليق:

أرشيدياكون: د. ميخائيل مكسى إسكندر

طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع
١٩٣٥٥



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

كلمة عن القديس باسيليوس الكبير[1]

St. Basil The Great

+ كانت له اشتياقات للرهبنة، بعدما تأمل فى تفاهة العالم، وسرعة زواله. وقد بعث برسالة لأخيه **القديس غريغوريوس** أسقف نيصص وقال له فيها:

* «بعدما أضعتُ الوقت الكثير فى غرور العالم، وبعدما أمضيتُ معظم شبابى فى دراسة علوم الحكمة (الفلسفة) استيقظت بعد هذا النوم العميق، وعرفّت نور الإنجيل. وتحققت من تفاهة حكمة رؤساء هذا الجيل، فهي تمر وتزول».

---

(١) من كلمة للأستاذ الراحل د. مراد كامل أستاذ اللغات السامية بجامعة القاهرة، والاستاذ السابق بالمعهد العالي للدراسات القبطية.

* «واكتشفت - وكلى حزن - مدى الحياة التعسة التى أحياها. وفى هذه اللحظة بالذات بحثت عمن يقودنى الى طريق التقّوى. كانت عنايتى الكبُرى أن أُصلح من أخلاقى، التى اعوُجت بسبب مصاحبة الأشرار».

* «فبدأت أقرأ الإنجيل. ولاحظت أنه ليس هناك من سبيل للوصول للكمال، الا ببيع كل أملاكى، وأوزعهًا على الفقراء. وأن أترك كل مباهج (لذات) هذه الحياة، بحيث لا تُتعب نفسى بالتمسّكُ بعادات الدنيا» .

* ثم بدأ فى دراسة نُظم الرهبنة وحياة الرهبان، وزيارة الأديرة الشرقية فى مصر وفلسطين وسوريا والعراق (٣٥٧ - ٣٥٨).

* وسجّل فى مذكراته عن رهبانها بقوله: «إني أعجب بقناعتهم فى الغذاء، وشجاعتهم فى العمل، ومثابرتهم فى صلوات الليل. وبروحهم

العالية، وقوة إرادتهم، التى جعلتهم يحتقرون الجوع والعطش والبرد، وكأنهم غُرباء عن أجسادهم. فهم سواح على الأرض (متجولون فى البرارى)، ومواطنون فى السماء».

* كما سمع فى الأديرة المصرية عن كفاح البابا القديس أثناسيوس، ضد الهرطقة الأريوسية ورجالها القساة القلب. وأحّس بأبوته الروحية وخدمته الحانية. فعاد الى بلاد بنطس (بآسيا الصُغرى) ليُقيمَ أديرة على مثال الأديرة المصرية.

* وأقام ديراً على أطراف مدينة قيصرية الجديدة، وتجمَّع فيه النُسَّاك. كما جذب صديقه القديس غريغوريوس النزينزى من كبادوكيا (المجاورة) فبقى معه مدة طويلة.

* ويبدو من رسالته موقف الرهبنة فى أواخر القرن الرابع، وركز فيها على إصلاح «النفس» وأن

عليها إن تنسى الماضى، والعاطفة (الجسدية الهوجاء). والمائدة (لذة الطعام والشراب) ومحاربة أفكار عدو الخير، واللذات والعادات الضارة، لكى تخلو لذاتها للتأمل، والممارسات الروحية.

* وذكر القديس نظام رهبنته بأن يوم الراهب يبدأ عند الفجر، بالابتهال الى الله بالصلاة والتسابيح، وعند مطلع الشمس يبدأ العمل اليدوى، ومعه الصلاة والترانيم.

* وأن تُخصص ساعات من النهار للدرس وقراءة الكتاب المقدس، لاتساع أُفُق النفس. وأكد على أهمية الصمت والكلام الجيد، والسؤال للعلم، والحياة فى هدوء، وأن يعيش الراهب كريماً فى عطائه وخاصةً فى نصائحه. ومتواضعاً فى إصلاح إخوته، ومتحكماً فى صوته، فلا يخفضه أو يرفعه بشدة. وأن يأكل الراهب الخبز والخضروات، ولا يشرب سوى الماء.

من مؤلفات القديس باسيليوس ما يلى:

١ - كتاب يضم ٥٥ قانوناً وتعالج مسائل هامة فى الحياة النُسكية.

٢ - كتاب على طريقة السؤال والجواب. ويضم ٣١٢ قانونا.

٣ - (٩) مقالات عن أيام الخليقة الستة (Hexaméros) وكتبها قبل رسامته أسقفا.

٤ - مجموعة ميامر، عن سفر المزامير (١٧ مقالة)·

٥ - كتاب عن النسكيات فى الأداب الرهبانية (هذا الكتاب).

٦ - كتاب «صلاح الحكيم وفساد العَالِم الذميم».

٧ - أسئلة وإجابات وحوارات بينه وبين أخيه القديس غريغوريوس.

٨ - كتاب عن الرو ح القدس (فى ٣٠ فصلاً).

٩ - تفسير الـ ١٦ اصحاحا الأولى من سفر إشعياء النبى.

١٠-(٢٤) مقالة في موضوعات عقيدية وأدبية، وسِيَر للقديسين.

١١- نحو ٤٠٠ رسالة (فى موضوعات مختلفة).

١٢-**الليتورجية** (صلاة القداس = liturgia mass).

+ وتوجد (٣) قداسات بإسمه، منها الليتورجية المستخدمة فى كنيستنا (القداس الباسيلى) حتي الآن.



أسرة القديس باسيليوس:

+ وُلِدَ القديس نحو عام ٣٢٩م من أسرة مسيحية، فى إحدى مدينتى قيصرية فى كبادوكيا أو

قيصرية الجديدة فى بنطس (آسيا الصغرى). وكان جده من كبار المُلاَّك بها. وكانت جدته «ماكرينا» تلميذة وفيّة للقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات (Gregorias Theologos).

+ وقد تزّوج أبوه باسيليوس من أماليا، وكان أبوها قد احتمل العذابات الكثيرة ونال إكليل الشهادة على إسم المسيح، وكانت هى بدورها قديسة فاضلة.

+ وقد أنجبت هذه الأسرة تسعة أطفال أكبرهم القديسة **ماكرينا** (على اسم جدتها)، وكان منهم القديس **باسيليوس** أسقف قيصرية، **وغريغوريوس** أسقف نيصص، **وبطرس** أسقف سبسطية.

+ وكان الفضل فى تعليم القديس باسيليوس راجعاً لجدته وأخته ماكرينا.

+ ودرس فى مدرسة قيصرية كبدوكيا. وكان ذكياً ونقياً. ثم درس علم الخطابة والفلسفة في القسطنطنية ثم فى أثينا ٣٥١م، حيث درس ٥ سنوات مع القديس غريغوريوس النزينزى. وأشتهر بالقداسة فى وسط المدينة الفاسدة.

+ ثم عاد الى بلدته سنة ٣٥٦ م وصار معلماً عظيماً فى قيصرية الجديدة ويبدو أنه قد دخله بعض العجب من نجاحه الأدبى، وتطلع لمركز عالمى. فتدخلت أخته القديسة ماكرينا، وحثته على دراسة العلوم الدينية، وأكدت له بطلان العالم. فعاد الى مثاليته، فتمت رسامته «قارئا» (أناغنستيس) فى الكنيسة.

+ وبعد نياحة أخته كرّس حياته لمن أحبه، وزار مصر سنة ٣٥٨م وتعلم أُسس الرهبنة القبطية. وأسس ديراً فى منطقة مليئة بالغابات

فى بنطس. ومـارس نظامـا نُسكّيا صـارمـاً، أضـعف مـن صـحـتـه. ولم يـأكل سـوى الخـبـز ويشرب الماء حتى بعدما صار رئيس أساقفة.

+ وكـان يملك ثوباً خـارجـياً، وآخـر داخلياً فـقط، ويرتدى مـسـحـاً من شـعـر فى الليل، وكـان ينام قليلاً. وقد وصَفَه صديقه غريغوريوس النزينزى بأنه «كـان بلا زوجـة، ولا قنيـة، وبلا لحـم، ويكاد يكون بلا دم»!! (هزيل الجسم).

+ وكـافـح «القديس باسيليوس» بدعة أريوس كـمـا حث الأغنياء والتـجـار الجشعين على الرحـمـة خلال مجاعة.

القديس الأسقف المجاهد:

+ تمت رسـامـته أسقفاً سنة ٣٧٠م، وهنأه القديس البـابا أثناسـيـوس الرسـولى، بينمـا شـعـر الأمبـراطـور فـالنز الأريوسى بالكارثة. ودخل فى

صراع معه بهدف ملاشاة الأيمان الأرثوذكسى، ودخلت حاشية فالنز على القديس لتهديده، إما بالعزل أو بالاشتراك مع الأريوسيين، أو بنفيه وتعذيبه حتى الموت.

+ فقال القديس فى هذا المجال رداً على التهديدات:

* «إنه ليس له شيء يُصادَر، سوى القليل من الخِرَق وبعض الكتب. أما النفى، فلا يمكن أن يبعث به الى ما وراء أراضى الله، إذ الأرض كلها دار غّربة بالنسبة إليه. أما التعذيب فلا يُخيف جسماً مات بالفعل (عن محبة العالم). أما الموت فإنه يكون كصديق يأتى ليصحبه فى آخر رحلة الى الوطن الحقيقى، وينقله بسرعة الى الله الذى يحيا له».

+ ولما فشل الأمبراطور فى التهديد والوعيد، حاول

أن يجد حلا وسطاً، بأن يسمح «للأريوسيين» بالاشتراك معه.

* ولم يتراجع القديس عن موقفه.فتوجه فالنز الى كنيسة فى قيصرية ٣٧٢م، ودخل اليها أثناء القداس، ولكن القديس تحنن على ضعف خصمه، فقبل التقدمة من يده المرتعشة.

+ واقتنع فالنز بآراء الأريوسيين. وقرر نفى القديس، ولكن إبنه مَرِضَ، فصلى من أجله وشفاه الله. ومع ذلك استسلم فالنز للهراطقة، ولكن محاولات النفى فشلت.

+ وقد زادت أعباء العمل المتواصل والمرض، وهو لم يزل بعد فى سن ٤٥. وفى عام ٣٧٩م خاطب القديس الله وقال: «بين يديك استودع روحى» وعلى الفور رحل لعالم المجد. وشارك اليهود والوثنيون مع المسيحيين فى تشييعه.



+ من صفات القديس:

١ - **المحبة**: في شتى صورها، لله وللكنيسة وللناس كلهم.

٢ - **والفقر الأختياري**: وقد زاد من عطفه على الفقراء وأحبهم، وأسس لهم مستشفى سمُي «باسيلياد»، وكان يعتني بالمجذومين، ولم يكن يأنف من تقبيلهم، إظهاراً لحنانه عليهم.

٣ - **زهده وتقشفه**: رغم مرضه الطويل وعمله المُتعِب، لم يكن يتناول غير وجبة واحدة من الخضروات والخبز والماء يومياً.

٤ - **شجاعته**: وظهرت في مواقفه المُشرّفة أمام الأمبراطور الأريوسي فالنز وحاشيته وضد الأمبراطور السابق «يوليانوس» المرتد. واختمى به شعبه من ظلم الحُكام المحليين.

٥ - **كما امتاز بالفصاحة**: كخطيب وكاتب بليغ. وقد تأثر بالعلاَّمة القبطى «أوريجانوس» فى التفسير الرمزى، ولكن نادراً ما استخدمه، ومنها تفسيره «لوحيد القرن» (مز ٢٩:٦) بأنه يرمز للرب يسوع الوحيد فى طبيعته والواحد مع أبيه.

+ نشاطه الرعوى:

+ كان تحت رئاسته ٥٠ أسقفاً، ورغم اعتلال صحته ومشاغله وكفاحه المتواصل ومؤلفاته العديدة، كان دائم الزيارة للإيبارشيات، وكان يكشف المخالفات الكنسية، ويختار الأساقفة المناسبين للخدمة.

+ القديس باسيليوس فى نظر معاصريه:

+ وصلت شُهَرته الى العراق حيث اشتاق القديس

مـار أفـرام السـريانـى لرؤياه، فـذهـب لقـيصـرية وتبارك كل واحدٍ بالآخر.

+ ووصفه المؤرخ ثيؤدوريت بأنه: «قديس العالم، نور للعالم وليس لكبادوكيا وحدها».

+ ووصـفه سفرونيوس بأنه «مـجد الكنيسـة». وأشار اليه القديس إيسيذورس الفرمى بأنـه: «إنسان موحى به من اللـه» وامتـدحـه صـديقه القـديس غريغوريوس النزينزى (Theologos) بأنه:

* «شـابه بطرس فـى غيـرته، وقـوة بولس وإيمـانه، والنُطْق السـامـى الذى لأبنَّى زبدى. واعـتـدال وبسـاطة جميـع الرسل..... وفى فضـائله المتعددة فاق كل رجال عصرنا».

✣ ✣ ✣

(١) بـــركات حيـــاة التأمـــل

من مقدمة الكاتب[١]،

+ حياة التأمل،

* «الذى يُفضّل إن يتحرر من رباط هذا العالم فليهرب من الشهوة، مثل مَنْ يهرب من الأسْر والقيود الثقيلة..... وعندما يصير مُحِبّاً لله مفضلاً بقدر استطاعته أن يتمّسك بالطهارة الروحانية والهدوء والتواضع، **ويشتهى أن يتذّوق السرور** (الفرح الروحى) **الناتج من هذه الأمور**»[٢].

* «ويجتهد إن يبُعد أفكاره عن كل ما يضر النفس.

---

(١) من مخطوطات الأديرة> أعدها للنشر أحد رهبان دير السريان العامر.

(٢) التأمل في الإلهيات، وفي كلام الله وأقوال قديسيه، يجلب السعادة، والراحة للنفس.

ويُفتِش عن الأعمال المملوءة مجداً، ويتطلّع لله بعينين نقيتين من الضلال، وحينئذ **يشبع من لذة المجد**».

* «وعندما يجاهد الإنسان (من خلال ممارسة وسائط النعمة كلها) لكي تكون نفسه في هذه المرتبة، فهو يكون متشبهاً بالمسيح، وملتصقاً به، حسب الإمكان، **ويصير محبوباً من الله**».

* «فيجب على الإنسان أن يُجاهِد حتى يستحق أن يرتفع الى علو الفضيلة.ولا ينسرق دفعة أخرى، وينحدر الى الحركات الجسدية والأوجاع العالمية. ولا يقبل الدخان الذى يصعد من آلام الجسد (شهواته) لئلا يسقط من النظر الروحاني، الذى هو الامتزاج بأمور لله، وأعماله المملوءة مجداً».

+ **فى التشبّه بالرب يسوع:**

* «كل الأعمال - ياحبيبى - وكل الأقوال التى لربنا يسوع المسيح هى قوانين للعبادة (واجبة التنفيذ) والفضيلة».

* «ولهذا فقد صار الرب يسوع إنساناً، لكى بذاته يضع لنا صورة العبادة والفضيلة، ويعلمنّا ذلك بالفعل والقول (وهو خير مثال لكل الأجيال)، ويتشبّه به كل واحد منا، حسب الاستطاعة البشرية».

* «فإذا سمعت - ياحبيبى - كلمة قالها ربنا - أو عملاً - فافحصه (تأمله) جيداً، وكن مشاركا (مُنفذاً) لهذا العمل».

+ أيهما تختار: عمل مريم (خدمة المسيح) أم مرثا (خدمة الناس)؟!

* «تأمل ما أقول: مرثا قبلت الرب (فى بيتها) ومريم جلست عند قدميه (تفرغت) لكى تسمع

إليه. فنشاطهما كليهما جيد، ولكن ينبغي أن نُميز عمل الواحدة عن عمل الأخرى، ونفهم ماقيل فيه».

* «مرثا خدمت - بنشاط - حاجة الجسد، لتضع أمام الرب. وأما مريم أختها فجلست عند قدميه تستمع إليه. سألته مرثا أن يترك أختها تساعدها فى خدمتها وتعبها (فى إعداد الطعام للضيوف مع المسيح).

* «فقال لها الرب: «مرثا... إنكِ مهتمة من أجل أمور كثيرة (مشاغل العالم المادية) والحاجة اليها قليلة (لقمة وهدمة فى نظر الرسول بولس). ومريم اختارت لها **نصيباً صالحاً** (محبة المسيح والجلوس معه) لا يُنزَع منها».

* «فكأنه قال لها: «لم آتِ لكى أتيح (أطلب طعام) البطن، بل أتيتُ لأغذيكم بكلام الحق. فمدح عزم

مريم (التكريس) ولم يمنع مرثا من خدمتها (الاجتماعية). فعمل مرثا ليس بمطروح (واجب عمله) ولكن عمل مريم أفضل منه (بمقياس الروح) لأنها رفعت عقلها الى الأمر الأفضل» (تفضيل الروحيات).

* «فافهم هذا المعنى روحياً - ياحبيبى - فإن كنت تريد أن تخدم الناس من أجل المسيح، فاصنع هذا، **فهو جيد ومقبول عند الله،** لأنه قال بفمه الطاهر: «مهما عملتموه مع إخوتى الصغار (المساكين) فبي فعلتم».

* «فإن كنت تغار من عمل مريم، التى تركت خدمة الجسد، وصعدت بفكرها إلي التعليم الروحى. فامشِ كاستحقاق العمل، وأظهِر سيرة مستقيمة فى طريق الله. واترك الأمور الظاهرة، المختصة بجسدك وبالعالم، من لذة المأكل وغير ذلك (راجع مت ٦:٢٤ - ٣٤).

* «واجلس عند قدمّى الرب وأسمع كلامه، لتكون مشاركاً لأسرار اللاهوت (التمتع بوسائط الخلاص). فإن النظر (التأمل) فى تعليم الرب عظيم. وأرفع من كل خدمة (اهتمامات) الجسد. **وإن استطعت أن تقوم بالعملين** (العبادة + خدمة الناس) **فأنت تقتنى أجرهما**، والطوبى (البركة) التى لهما، وإلا فاخترّ الأفضل، وهو الروحانى، الذى قال عنه (الرب) إنه النصيب الصالح».

✠ ✠ ✠

(٢) كيف تصلّي؟!

• «كيف تقف أمام الله؟! وماذا تقول؟! وماذا تفعل إذا لم تنل ما تطلبه؟! أو إذا سألت مرات كثيرة (صليت) ولم تأخذ شيئاً؟! وطياشة الأفكار فى الصلاة: ما هو علاجها؟! وما مدى المسئولية فيها؟!

وهل تعترف بأنك خاطىء؟ وإذا كانت سريرتك (ضميرك ونيتك) لا تبكتك على شيء؟! وما الحاجة الى الصلاة، والله يعرف كل ما نحتاج إليه»؟!

+ كل هذه الأسئلة يُجيب عنها القديس باسيليوس الكبير، كما يورد لنا أمثلة للصلاة المقبولة من الله **ويقول ما يلى:**

* «إذا ما قُمت لتصلى، فانظر لئلا تطلب أموراً (مادية) بدلاً من أمور (روحية) فتُغضِب الرب. فاحذر من أن تَفضل غنى (مالاً) أو رئاسة أو مجداً (شُهرَة) عند الناس. وبصفة عامة، لا تطلب شيئاً زائلاً، **لكن اطلب ملكوت الله.** وهو يعطيك (علاوة على ذلك) حاجة الجسد، حينئذ من غير طلب. فإن هذا هو المطلب الثابت، الذى لا يُنزِع ممن يختاره».

* «وينبغى أن نبتدىء أولاً بتمجيد الله وبتسبيح

وترنيم، ثم نسأل ما نريده حسب مرضاة الله. ولا تفتتح الصلاة بالطلب لئلا يظهر أن الحاجة هى التى ألجأتك الى الصلاة، ولولاها لما طلبت».

* «وعندما تبتدىء بالصلاة، اترك ذكر كل ما على الأرض، وارفع عقلك الى السماء، واترك (التفكير) فى كل الخليقة، ما يُريَ منها وما لا يُريَ، إذ تبتدىء إن تمجّد وتخاطب خالق كل الأشياء».

* «واختر القول المناسب من الكتب المقدسة وقل هكذا: أباركك أيها الرب الرحوم، الطويل الروح، لأنك تأنيت عليَّ وأنا أخطىء كل يوم. وأعطيتنا - جميعاً - سلطاناً أن نتوب (قدرة على ترك الخطية)».

* «من أجل هذا (الحُب) أحتملّتنا يارب. لذلك

نبـاركك (نشكرك) ونمُجـدك ـ يا مـدبّـر خـلاص جنس البشـر ـ بما تصنعـه لهم. ولذلك فى مـرات كنت تجلب الأحزان والأتعاب، ودُفعـات بتعاليمك المحُييّـة لكى تعلمنّا. ودفعات تبكتنا من جـهـة الأنبياء، وفى الآخر افتقدتنا بظهور إبنك الوحيد ربنا يسـوع المسـيح، وأنت الذى خلقـتنا.... أنـت إلهنا وأبونا» (المتكفّـل بنا).

*«فإذا مجدته بتسابيح من الكتب (المزامير) كما تقدر، تبتدىء بتواضع قائلاً:

* «أنا لا أستحق – يارب – أن أفتح فمى أمامك، لأنى خاطىء جداً».

* «وإذا قلت كلاماً (صلاة لله) فـقُـله بتـواضع هـكذا: أشكرك يارب لأنك أطلت روحك على خطاياى، وأمهلتنى بغير عقوبة الى الآن، وأنا مستحق كل عذاب، عوضاً عن خطاياى».

* «ومن أجل تأنيك علىّ، أشكرك أيها الرب الرحوم. وإن كنت أنا الحقير لا أقدر على الشكر المستوجب لعظمة احتمالك. فاقبل طلبتى الحقيرة، بعِظَم محبتك التى لا حد لها».

+ «فإذا أكملت نوعىّ الصلاة، وأعنى بهما: تمجيد الله، والاعتراف له بفكر متضع. حينئذ اسأل ما ينبغى أن تسأله (تطلبه): لا مجداً أرضياً، ولا عافية جسدك. فأنه عارف بما ينفع كل واحد. إما أن يبقى سليماً أو يبقى مريضاً» .

+ «**واطلب ملكوته فقط**، كما أمرك (مت ٦:٣٣) لأنه عظيم جداً. **ولا تطلب منه أشياء حقيرة لئلا تُغضِبه**».

+ «وإذا سألت منه ما يليق بجلاله (الروحانيات) فلا تبتعد (تتوقّف عن الصلاة) حتى تناله، لأنه هكذا علمنا (اللجاجة) بمثال الصديق (لو ١١:٨) الذى قال فى آخره: «أقول لكم: إنه لم يقم

ويعطيه من أجل الصداقة، فمن أجل اللجاجة (الالحاح فى الطلب) يقوم ويعطيه. فرمَز لنا أن نكون أقوياء فى الأيمان وصابرين، وملازمين (مداومين) الطلب منه، حتى ننال حاجتنا».

+ «فإذا لم تنل حاجتك عاجلاً، فلا تضجر (تتبرم وتتذمر)، ولا تبتعد (عن الله وعن الصلاة) حتى تنال طلبتك أخيراً. ولا تقل: «**أنى خاطىء**»، فتيأس. وسوف يعطيك الرب حاجتك إذا آمنت وثبّتَ في سؤاله» (داومت علي الطلب).

+ «ولو جاز شهر - ياحبيبى - ولم تنل حاجتك، أو مرّت سنة أو أكثر، فلا تُبعد نفسك (عن الصلاة) حتى تنال طلبك».

+ «لكن اطلب بإيمان[1] واعمل الخير كل حين.

(١) ينمو الإيمان بعمل الروح القدس، الذي يشتعل بوسائط النعمة، فيفيض علي المؤمن الحقيقي، بثماره ومنها الإيمان القوي (غل ٥:٢٢ - ٢٣) ويقود الإيمان إلي الثقة في وعود الله وإلي التسليم، والفرح وإلي الصبر والشكر، والأمان والاطمئنان.... الخ.

فإن الإنسان إذا أسلم نفسه للشهوات التى تؤدى لأنحلاله، ودفع ذاته وحده لأعدائه الشياطين. فلا يُعينه الله، ولا يسمع منه. والذى يريد أن يُعينه الله، فلا يدفع ذاته وحده لأعدائه. **فلا ندع ضمائرنا تلومنا فى شىء من الأمور».**

+ «ومع كل هذا نصرخ نحو معونة الله باجتهاد وثبات عقل، لأن الذى يطيش عقله (يسرح فى الصلاة) لن يحصل على طلبته. بل يجلب عليه غضب الله، لأنه إذا كان واقفاً قدام سلطان يخاطبه، فإنه يقف بخوف، ولا يدع عقله طائشاً هنا أو هناك».

+ «وأيضاً عينىّ جسده، لا يدعهمّا تنظران إلى جهة أخرى، بل يقف ناظراً الى الله ببصره وببصيرته، باحتراس وخوف. فكم بالأفضل يجب علينا أن نقف قدام الله، بخوف ورعدة».

+ «نضبط عقلنا فى النظر إليه دائما، لأن الله لا ينظر الى الإنسان الخارجى (الشكل) بل ينظر الى الإنسان الداخلى، إذ يفحص القلوب والكلىَ، كما هو مكتوب» (مز ٧:٩).

+ «وإذا ما وقفت - قُدّام الله - قف كما ينبغى، وعاملاً جميع ما ينبغى - باجتهاد - ولا تبتعد (تتوقف عن الصلاة) حتى تنال طِلبتْك».

+ «واحذر أن تقف أمام الله وضميرك يبكتك على أنك فكرت فيما لا ينبغى، ولم تجتهد بكل طاقتك - على ضبط فكرك وأنت تقدر. فاجتهد لئلا تصير صلاتك خطية».

+ «وإذا ما غصَّبت ذاتك هكذا ـ حسب قدرتك واجتهادك ـ فلا تمل حتى تنال طلبتك، لأنه قال: «من يقرع يُفتَح له».

+ «وطلبك من الله - أيها الحبيب - فليكن من أجل خلاصك فقط» (طلبات روحية لا مادية).

+ وتأمل طول روح (صبر) القديسين:

* «دعا الله إبراهيم الخليل وهو صبى (شاب) ونقله من أرض السريان الى فلسطين، ووعده قائلاً: «إنى أعطيك هذه الأرض، ولنسلك من بعدك. وأجعل زرعك (أبناءك) مثل نجوم السماء، التى ليس لها عدد».

+ وأطال الله روحه (باله) حتى عبرت أزمنة (سنوات) كثيرة، وشاخ إبراهيم، وصارت طبيعته كالميتة، وقربت أيام موته. ولم يقل «يارب وعدتنى بالأولاد، وأن أصير أباً لأمم كثيرة. وهوذا قد شخت وماتت حركات الطبيعة (الشهوة) منى، ومن زوجتى، من جهة الكبر».

+ «ولم يُفكر الصدّيق (البار) فى هذا، لكنه ثبت غير متزعزع فى الإيمان. فقوة الجسد ضعُفت ورجاء الوعد لم يضعُف، **لأن الذي وعد هو رب الطبيعة،**

وهو الذي لا يمكن أن يكون شيء خلافاً لقوله. وهو يقدر علي الأمور التي لا تُستطاع» (لدي الناس).

+ «فخذ لك - يا حبيب - **مثال أبينا إبراهيم**. فأما نحن المساكين، فإذا صلينا سنة واحدة من أجل شيء، نمّل بعد ذلك ونكّف.

+ «وإن صُمنّا سنتين من أجل تقويم العفة، أو غير ذلك فإننا نسترخي بعدها، ونرجع إلي خلف».

+ «فلا نمّل - يا أحبائي - بل لنتثبُت في الإيمان والسؤال والخير، بغاية الاجتهاد، إلي أن ننال الوعد. فإن الذي وعد أبانا إبراهيم - في ذلك الزمان - وعدنا نحن أيضاً، من قِبَل الأمثال الواردة في الأنجيل المقدس، أن يعطينا طلباتنا، إذا ما سألنا بصبر وقد قال: «تعالوا اليَّ ياجميع

المتعبين وثقيليّ الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١:٢٨) فها هو يدعونا حتي نُقبِل إليه، فيُخرّجنا من ثقل الخطية».

+ ونحن نقول: «إننا مصدقون إنه يُعطينا حاجتنا، وضمائرنا تُبكّتنا بأننا غير مُصدّقين. إذ نحن نتواني في أن نحمل نيره الحلو الخفيف، وفي أن ندخل من الباب الضيِّق إلي ملكوت السموات».

+ «وهكذا نختار أن نحمل أحمال الخطية الثقيلة، ونمشي في الطريق الواسع، بالشهوات واللذات المؤدية إلي الهلاك».

+ «ولعلك تقول: «قد سألتُ – دفعات كثيرة – ولم آخذ شيئاً». حقاً قد سألت، ولكن ربما تكون قد طلبت بيأس (بدون إيمان). أو سألت بغير (سلوك في) أمانة، أو كانت أفكارك طائشة هنا

وهناك. أو يكـــون الذي سألته غير نافع لك، أو لم تدم في الطلبة (تستمر في الصلاة) كما يجب».

+ وقـد كُتِبَ: «بصـبـركم تربحـون أنفـسكم» (لو ١٩:٢١) وأيضـاً: «من يصـبـر الي المُنتـهّي فـهـذا يخلُص» (مت١٠:٢٢).

+ فـاعلم – أيها الأخ – أن اللّه ينظر الي كيفـيـة قـلوب الـذين يصلّون إلـيّه»[1].

+ ولعلك تقـول:«**هل الله محتاج الي صلاتنا؟! أما هو يعـرف مـا نحتـاج اليـه؟! وان كـان يعـرف، إذن ماالحاجة الي الطلب منه؟!**».

+ وأقـول: «إن الله يعـرف جمـيع مـا تحتاجه. وهو يعطينُا جـمـيع الخيـرات الجسدانية (العطايا المادية). ومن أجل صلاحه ومحبته للبشر يـُطيل

(١) للمزيد راجع كتابنا: «الصلوات المرذولة والمقبولة» طبع مكتبة المحبة.

روحه علي الأبرار والأشرار معاً. وتشرق شمسه علي الصالحين وعلي الطالحين - جميعاً - وقبل أن نسأله».

+ أما الإيمان (العملي) واستقامة (النفس في) الفضيلة، وملكوت السموات، **فلا ينالها الإنسان إلا بالطلبة والمشقة والصبر**، لأنه يجب علي الإنسان أن يحب الخير. فإذا ما أحبهُ يطلبه بحق وأمانة وصبر».

+ «ويعمل جميع الأمور، **التي يليق عملها بالاجتهاد، ولا يدع ضميره يبكته في شيء**. وحينئذ ينال طلبته **في الوقت الذي يريده الرب**، لأنه يعرف خيرنا أكثر منا. ولعل الرب - من أجل هذا الحب - يعمل بحكمته آخر الأمر (يستجيب بعد طول انتظار) **لرأيحنا**» (لفائدتنا فعلاً).

+ ولكن يجب أن نكون **ملازمين** (مستمرين بدون

توقفٌ) للطلبة منه، لكي نعلم من جهة الأتعاب التي نحتملـّها، قدر موهبة الله التي أنعم بها علينا. ونحفظها بخوف واجتهاد. فإن الذي يقتنيه الإنسان بتعب كثير، يجتهد في حفظه» (لا يفرط فيه).

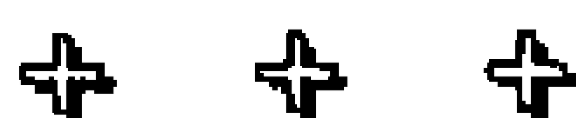
+ فلا يصغر قلبك - أيها الأخ - إن لم تنل ماسألته. فإن ربنا الصالح لو علم إنك لا تفسد النعمة، إذا أعطاها لك سريعاً بدون تعب ولا طلب - لأعطاك قبل أن تسأله، فهو يصنع هذا بك كما ينبغي.

+ وإذا كان الذي أخذ الوزنة - وحفظها سالمة كما أخذها - أُلقِي الي الحاكم، لأنه لم يعمل بها ويربح. فالذي يفُسِد النعمة، التي تُعطي له، أي حكمٍ (سجنٍ) يستحق أن يُطرَح فيه؟!

+ وإذا قد عرفنا هذا - ياحبيب - فإن أخذنا طلبنا سريعاً، فلنحفظ النعمة، ونشكر عليها. **وإن تأخرّ علينا الأمر، فلنثبت شاكرين الرب**، وقلبنا طيِّب، عالمين إن جميع ما يصنعه الله من أجل خلاصنا، بتدبير لا نُدرِكُه.

+ فلا تحزن قلوبنا، ولا تنّحل (تضعف إرادتنا) وتمل من الطلبة. ومن أجل هذا، وضع الرب لنا الرب مَثَل الأرملة المجتهدة في السؤال (راجع لو ١٨). وبهذا تظهر قوة عزمنا وإمانتنا (ثقتنا) في الله إذا لم ننل مطالبنا بسرعة، وثبتّنا شاكرين.

+ فلنشكر ربنا - كل حين - لنستحق خيراته الدائمة، له المجد إلي الأبد، أمين.



(٣) عن حراسة الأفكار

- ما علاقة النفس بالعقل؟
- وبين النفس والجسد؟
- الدرجات الروحية العالية إذا سار العقل والجسد في الوضع الطبيعي.
- كيف ينشأ الإنحراف؟!
- القوتان اللتان للنفس، وعمل، وطبيعة كل منهما.
- ولمن تكون القيادة للسير حسب المنهج السليم؟
- الجسد ليس هو علة الشر.
- كيف تروِّض النفس حركات الجسد؟

- مقدمة:

+ قبل كل شيء، ينبغي لنا أن نضبط الأفكار - بكل وسيلة - ونتيقَّظ ونحترس، ونحفظ قلوبنا بكل

ثبات، لئلا نسمح لنفوسنا. فلا نُلجِمّها (نضبطها) عن الميل الي آلام الجسد (شهواته) بحركات غير جيدة.

• علاقة النفس بالعقل:

+ نور الجسد هو العين. وبصيرة النفس هي العقل، المخلوق فيها بالطبع. ولستُ أقول إن العقل هو غير النفس ، كأنهما منفصلان أحدهما عن الآخر. كلاًّ!!

* بل إن النفس هي والعقل مرتبطان باتحاد، لأن العقل قوة طبيعية للنفس ، وهو أحشاؤها (جزء منها). خُلِقَ معها، وليس هو غريباً عليها، ولا دخل عليها بعد زمان.

• الوضع الطبيعي الصالح:

+ فإذا ما تحرّكت النفس الي العقل، الذي غرسه الثالوث القدوس فيها، وفكر العقل فيما ينبغي –

ويليق بالله - حينئذ تصير النفس مُخلَّصة، وتهرب من جميع استعمالات الآلام.

+ وعندما تسبق النفس، فتنتظر حركات الجسد وتضبطها، حينئذ تكون في هدوء وورع يليقان بها. فإذا ما سارت في المناظر الفاضلة - كطبيعتها - فإنها تبقي مُتفكِّرة في جميع أعمال الله ومجده، بخوفٍ وهدوءٍ من غير قلق.

+ بل دفعات تجدها تتفكر في مجد اللاهوت، الذي لا يُدرَك من أجل عظمة نوره. وتبقي مُتفكِّرة في ذلك النور الطوباوي، والحكمة التي ليس لها أنتهاء ولا اضطراب.

+ فإذا ما حفظت النفس عقلها متيقظاً - كطبعها - وتفكرَّت فيما ينبغي، فلابُد للعقل أن يكون دائم التأمل في الأعمال المُمجّدة (Theoria) وكل ماهو للسلام.

• مصدر الأوجاع (الشهوات الجسدية):

+ إذا ملّت النفس، ولم تفكر فيما ينبغي، ولم تنظر بنظر نقي، فحينئذ تقوم عليها آلام الجسد كالكلاب. وكل واحد من هذه الأوجاع يجتذب النفس الي ما يريد.

• القوتان اللتان للنفس:

+لأنني أقول – كما أظن – أن قوي النفس إثنتان، وإن كانت للنفس واحدة:

* إحدي القوتين متصلة بالجسد ويعيش بها، والقوة الثانية للنفس (أي القوة العاقلة) التي خلقها الله للتفكير في الأمور المملوءة مجداً. وجعلها لها حركة في ذاتها، أي لها الاختيار، وليس بالطبيعة.

• لمن تكون القيادة:

+ إذا ماحفظت النفس الجزء المفكر والحارس

الدائم، تجعل آلام الجسد تهتدي عن طريقين: الأول أن تتفرّغ النفس لطلب المناظر المناسبة لطبعها. والآخر، بأن تُميّز قلق الجسد، وترده لماهو أفضل.

+ فإذا ما كسّلت النفس، وتركت الجزء الناظر (العقل) غير مُتحرك بفكره، الي ما يليق بطبعه، فإن آلام الجسد تجد جزء النفس الآخر، الذي قلُت إن الجسد يعيش فيه فارغاً (بطالاً) وليس من يمنع حركتها.

* وأعني أن الجزء الناطق، عندما تهمله النفس، تجذب ألام الجسد النفس الي عمق الشر.

● ليس الجسد هو علة الشر:

+ إذا كان الجزء الفكري متيقظاً وحارساً للنفس، متفكراً دائماً فيما يليق بالله، لا يعطي للآلام (للشهوات) فُسْحةً، حتي لا تجد وقتاً ترفع فيه رؤوسها.

+ ولا يتم لوم الجسد، فليس هو علة الشر، كما يظن الهراطقة والجسد للنفس العاقلة كالحصان لراكبه، أي يمكنه أن يتحكّم فيه بلجامه.

+ أنظر الآن - يا حبيب - الي ما أقول:

* فالحصان يقوم بخدمته المحددة بسرعة، ولكنه يحتاج الي «مُروِّض» يركبه ويقوده الي الموضع الذي يريد الذهاب اليه، لأن هذا الحيوان لا يعرف ما ينبغي فعله.

+ فإما أن يدبر الراكب الحصان ويثبت فوقه ويوجهه وإلا يتعثَّر كلاهما ويسقط معه راكبه ويصيران في شدة. وسبب ذلك غفلة راكبه وعدم معرفته برياضته، ولا كان معتاداً الثبوت عليه. أو لإهماله قيادته، وردَّه الي الطريق السليم. فينحرف عنه وهو راكبه.

+ وهكذا خلق الله الإنسان، وجعل فيه عقلاً يعقل

به، إكراما للنفس (الروح) التي خلقها مع الجسد. فـإذا مـاسـارت النفس، ودبرّت أمـورهـا جـيـداً، وألجمت حـركات الجسـد (شـهواتـه) فـإنهـا تـنجـو وتخلّص الجسد من السقوط في الشدة.

+ أمـا إذا توانت ولم تدبر (تضبط) حـركات الجسـد – كمـا يـجب – وتغـافلت وكسـلّت، وفـكّـت لجام الجسـد، فمن أجل أنه لا فكر (حكمـة) له يخـرج الي الطريق الوعرة وتسقط النفس معه في الشرور.

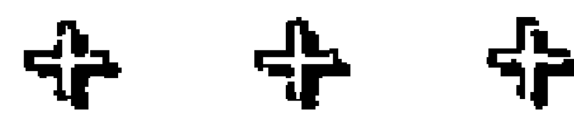
+ وليس هذا من أجل شر الجسد – معـاذ الله – بل من أجل أن النفس لم تدبره (تضبطه) كما يجب.

+ **فالنفس هي الملـومة**، ولو لم تسـتطع أن تضـبط آلام الجسـد (رغبـاته الفـاسـدة) وتروّض حـركـاته لكان للـهراطقـة حـجـة في لوم الجسـد. فـقد قـهر الأبطال (الروحـيون) المجـاهدون أوجـاع الجسـد، واستخدموه في (الأمر) الصالح.

* وعلي ذلك فالنفس هي التي يلزمها اللوم، لأنها توانت، مع أن لها السلطان علي الجسد.

+ والنفس أيضاً ليس فيها الشر بطبعها - معاذ الله - إنما وجُد فيها الشر من جهة أنها لم تعمل الخير، الذي أعطبتها القدرة عليه، والاختيار فيه.

* فالشر في الإنسان ليس سوي انعدام الفضيلة، وحيث لا فضيلة، فهناك الشر فعلاً.



(٤) عن الابتعاد عن النساء

+ يجب أن نجتهد في تدبير أفكارنا (ضبطها) وبالاكثر يجب أن نبتعد عن كل حديث (دنس) ليس فيه ربح (للنفس) بقدر ما نستطيع.

+ وأن نهرب من الأشياء التي يجذب التقرُّب منها الي أفكار الأوجاع، ويقيم الحروب في داخل

أنفسنا، لأن الحروب التي تدخل إلينا بغير إرادتنا، يلزمنا أن نجاهد ضدها بشدة. أما إذا كانت تجلب علينا وحدنا - **حرباً بإرادتنا** - فإن هذه شقاوة(١) (تعاسة للنفس).

+ فإن الذي ينغلب في القتال الذي يأتي عليه ضد مشيئته، يحاول أن يجد عذراً وعفواً. مع أن مجاهدي المسيح لا ينغلبون إذا ماجاهدوا - بكل قوتهم (مع وسائط النعمة) في هذا القتال الوارد عليهم بغير إرادتهم.

* أما الذي ينغلب **في قتال هو جلبه لذاته**، فهو يصير أضحوكة لكثيرين (من الشياطين والبشر).

---

(١) يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: «لا يستطيع أحد أن يضرك سوى نفسك».

+ وقال قداسة البابا شنودة الثالث «محبة الذات أصل لكل اللذات».

+ فيجب - ياأحبائي - إن نهرب بالأكثر من الاختلاط بالنساء، والحديث معهن، وإن حدثت ضرورة أكيدة لذلك[1]، فلنحذر مثلما نحذر من الاحتراق بالنار. ولنحذر من أن نبطيء معهن في الجلوس، ولنُسرِع باجتهاد لفض الامر الذي اضطرنا لعمله، ونفارقهن سريعاً (خوفاً من العثرة)[2].

+ وتأملوا ما قالته حكمة الله من أجل هذا (الأمر) فإنها قالت: «هل يطأ أحد جمر نار ولا تحترق قدماه؟! (راجع أم ٦:٢٨).

(١) وهو كلام موجه بالاكثر إلي الرهبان بالطبع، ولكنه يصلح أيضاً لكلا الجنسين، وخاصة في التواجد بعيداً عن رقابة الناس (اللقاء الخاص بين أثنين).

(٢) يذكر الاباء أنه لتجنب السقوط المُتكرر يجب كسر **حلقات ثلاثة** يُقيّد بها عدو الخير النفس، فتسقط بسهولة وبتكرار، وهي: «**المكان + ظروف السقوط السابقة + الأشخاص المعثرين من الجنسين)**.

+ وإن قـال أحـد: «إنني لا أتـأذي إذا اجـتـمـعت بالنسـاء». فلعل هذا... مـثل الذين قيل عنهم إنهم: «خـصـيـان من بطون أمـهـاتهم».... وإن لم يكن كـالخـصي. بل هو مثل باقي الذكور - فـهو غارق في آلام الجـسـد (أفكار الشـهوة)، ولا يحس في ذاته بهلاكه.

+ مثله مثل السكّير التائه القلب، الذي يأتي عليه ألم (حرب شـهوة) كثير، وهو لا يحس، ظناً أنه لم يلحقه شر. ولكنني أقول إنه ليس ثمة إنسان إلا ويتحرك فيه هذا الألم (حرب الشهوات).

+ وإن كـان الرجل لا يتـدنس - في فكره - إذا اجـتمع مع إمـرأة (علي انفـراد) لكن من أين يعـرف هـو فكر المرأة، وأنها لم تتأذَ من جهة الاجتماع معه، مع زيادة ضعفها (ميلها للسقوط في لذات الجسد)(١)؟!

(١) دعـا القـديس اغـسطينوس إلي اللقـاءات العـامـة بين الجنسين، وليس للقاءات المنفردة بين إثنين فقط في مكان خفي.

+ فالأصلح أن لا نجلس مع إمرأة بالجملة، إن أمكن هذا (وهو ما ينطبق أيضاً علي النساء والبنات، وعدم الجلوس مع رجال علي انفراد) وإلا فينبغي أن نعتفي من الجلوس معهن دفعات كثيرة. وإذا اجتمعنا لضرورة عظيمة (أمر هام) فلا نطل الجلوس والحديث معهن (وبالطبع يكون حديثاً روحياً من أجل خلاص النفس، وبعيد عن الكلام العالمي).

+ وليس هذا كله، لأننا نُبغِض النساء، أو ننكر إشتراكنا معهن في النسب الواحد، وأعني البشرية. كلا، بل أنه جيد أن نعطيهن ربحاً وتحفظاً (كلمة منفعة وتحذيرات) لاسيما اللائي (الراهبات والمكرسات) قد اخترن أن يحملن جهاد الطهارة، ويجاهدن معاً في الأتعاب عينها. وإنما نتحفظ من الاجتماع بهن والحديث معهن، لئلا نتذكر - مرة أخري - الألم الذي أُعفِّينا - منه في هذا العالم - ورذلناه.

(٥) عن المجد الباطل وأضراره

(محبة مديح الناس)

+ يجب علينا ـ يا أحبائي – أن نهرب بالأكثر من المجد الباطل (Vain glory) هذا الذي لا يحسدنا قبل أن نتعب في الفضيلة، ونتألم في النُسك، ولكنه من بعد تعبنا يريد أن يسرق منا إكليلنا.

+ هذا (شيطان المجد الباطل) الذي يمكر بخلاصنا ويخدعنا، ويجاهد بحيله أن يحدر الفضيلة من السماء، بعد أن يرفعها للسماء.

+ هذا الذي يجذب تواضع القلب، الذي هو أساس الفضيلة، ويخسر صاحبه جميع أتعابه (بسهولة). ويُطّيب قلبه بأن يطلب أجرة تعبه من الناس، وأعني إكرامهم وشكرهم له. تلك الأمور التي لا ربح فيها (للنفس).

+ فينبغي ألا يكون هذا البتة[١] بل يجب أن ننظر الي مجازاة الله وحده[٢]، ونعمل الفضائل من أجله (حُباً في الله وفي الخير، وليس طمعاً في ثواب أو لمجد باطل من بشر، أو خوفاً من عقاب أرضي أو أبدي).

* ونترك الفضائل تجتمع لنا عند الله، لننال منه وحده الأجر كاستحقاقنا.

+ وإن كنا قد اخترنا أن نصنع الخير من أجل مجد الناس (مديحهم) ورضينا بأخذ الأجر منهم، وهو إكرامهم الباطل. فالأوليٌ والأفضل جداً، أن نصنع ذلك من أجل الله وعن وقار، ونبتغي ثوابه الدائم.

---

(١) وهو المبدأ الذي قرره الرب يسوع وقال: «مجداً من الناس لستُ أقبل» (يو ٥:٤١) .

(١) أن تكون المُجازاة من الله وليس من طلب مديح البشر على أعمالنا الخيرية.

+ فإنه له المجد قد قال - في الأنجيل - عن الذين يصنعون الخير من أجل الناس: «الحق أقول لكم: إنهم قد أخذوا (استوفُوا) أجَرّهم» (مت ٦:٢)

+ وليست خسارة المجد الباطل تقف عند حد تضييع أجرة تعب الفضيلة، ولكنه يحرق (يهلك) صاحبه ويُميّله من الفضيلة إلي الرذيلة، وهذا (الوضع) عندما يتركه (الشيطان) يطلب المجد من أُناسٍ أردياء، أو جهلة يمدحون المرء، ويكرمونه (بكلمات جوفاء) من أجل أمور ردية. فلنهرب من هذا.

+ وإن مدحنا قوم لسعينا (سيرنا) في الطريق الفاضلة (باستقامة) فلا نلتفت الي كرامتهم (مديحهم) كأنها لنا أمر عظيم، بل لننظر الي معطي الكرامات الحقيقية، ولكن يجب أن نفرح لهؤلاء إذا عرفوا الصواب ومدحوا الفضيلة (وليس مدح أنفسنا).

+ وإذا كان قوم يرذلوننا ويسلبوننا من أجل الفضيلة، فلا نُبالي ولا نعبس (نغضب)، لكن ينبغي أن نحزن عليهم، إذا لم يشتركوا في الرأي المستقيم (لا يقولون الحق) لأن قلبهم مظلم. ولذلك يشتموننا[1].



(٦) عن الأدب في الكلام

+ جيد أن نميّز «**الوقت**» الذي نتكلم فيه (والذي يجب الصمت فيه)[2].

+ والذي نقوله يكون من أجل المنفعة. وأن نتكلم عن الفضيلة، في الوقت الذي يجب ـ أو إذ: نتكلم **من**

(١) وقال رب المجد: «ويل لكم إن قال فيكم جميع الناس حسناً... وطوبى لكم إذا عيّروكم...الخ» (من أجل المسيح).

(٢) قال القديس أنبا بيمن: «الكلام من أجل الله جيد، والسكوت أيضاً من أجل الله جيِّد» (راجع رسالة القديس يعقوب الرسول الاصحاح ٣).

أجل ربح **وبُنـيَان السامعين**. وما سوي ذلك ينبغي أن نرفضـه، إذا ليس فيـه ربح، وهو خـارج عن الحاجة[1].

+ وينبغي للناسك ألا يتأمل (يفكر) أو يميل قلبه الي كلام الهزء.

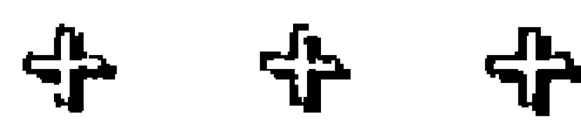
+ والذين تميل نفوسهم للمزاح والضحك، يحيدون عن كلام الحق المستقيم، وينحلون من الفكر الثابت العالي (التأمل في السمائيات) ويسقطون في الكلام القبيح، ثم (يقعون) في حُفَرة الشر، لأن النفس لا يمكن أن تكون متيقظة فيما لله، وهي منشغلة بكلام الاستهزاء.

+ وإذا دعت الحاجة، لنَقُل كلمة عزاء بلطف لكي

(١) يذكر القديس باسيليوس أن الإنسان سيُدان علي كل كلمة «**بطالة**» وهي في رأيه التي لا عمل لها،، وقال أيضاً: «ما الفائدة إذا فعلت الفضائل، وقلتُ لأخي «ياأحمق». فأستَحق نار جهنم».

نحل قليلاً من عبوسة - وحزن - من نخاطبه، ليخف ألم قلبه. وليكن كلامنا حينئذ مملوء نعمة وروحانية، متبلاً بالملح، لكي يُظهِر الكلام الذي نقوله رائحة بخور تدبيرنا الداخلي، المملوء حكمة.

+ ويُبهج قلب الذي نخاطبه من جهتين: من جهة راحة قلبه بما يجده من تخفيف حزنه، ومن جهة نعمة معاني الكلام الذي نقوله له.



(٧) في الوداعة والفهم (الحكمة) والتواضع

في الوداعة:

+ ينبغي للناسك أن يكون مملوءاً من الوداعة. مثل الروح القدس الوديع البسيط.

+ وإذا دعت الحاجة الي أن ننتهر من يتواني عن وصايا الله، وخاصة إن كان تحت سلطاننا أو

مـوكلين به، فـيـنبـغي أن نتـحـفظ بالمقدار الواجب، وأن نقرن الانتـهار بالفِكر (العلم) الذي يُرضِي الله.

+ فإن القتلة يستعملون السكاكين في قطع أعضاء الناس، والأطباء هم أيضاً يستعملونها في ذلك، لكن القتلة يمسكونها بغضب وقلة رحمة، ليعملوا بها أعمالاً مرذولة. وأما الأطباء فيمسكونها بخوفٍ وشفقة، ويستعملونها بفكرٍ صالح، ليعملوا بها (المشارط) أعمالاً (عمليات جراحية) نافعةً[١].

+ وكذلك الذين يعرفون الإنتهار بفكر حسن، وبمقدار حقيقي، ويُرضِي الله، فإنهم ينفعون الذين ينتهرونهم، ويخلصونهم من توانيهم. وإنما المضبوطون بألم الغضب، لا يفعلون من هذا شيئاً يُرضِي الله.

---

(١) المتضع يُصلِح دون أن يجرح، ويُقلل من التوبيخ واللوم، والإنتهار، بقدر الإمكان.

+ فـيـنبـغـي للذين يريدون أن يـُقـيـمـوا الوداعـة (السلوك باتضـاع) أن ينتـهروا بمقدار، في الوقت الذي ينبـغي، إذا دعت الحـاجة اليه. فإن مـوسـي النبي الذي شـُـهِد عنه أنه كـان وديعـاً (حليـمـاً) أكثر من جـميع النـاس السـاكنين علي الأرض، لما دعت الحـاجـة انتـهر، وانزعج حتي أنـه أمـر بقـتل بني اسرائيل بغير شفقة، في الوقت الذي صـنعوا فيه العجل وسجدوا له (عبدوه).

+ أمـا أن يكون الإنسـان وقت (الموقف الذي يوجب) الإنتـهـار غيـر مـتـحـرك (سلبي) بالجـملة، فإن هذا ليس وداعة، **بل هي رخاوة في الطبيعة**[١].

في فهم القلب (طلب الحكمة الروحية):

+ ينبـغـي أن يجـعـل الإنسـان **الفـهم هاديه**، ورئيسـاً (مرشداً) علي كافة ما يعمله، حتي أن الخير الذي

(١) الاتضاع لا يمنع الحزم والحسم، عندما يتطلب الأمر ذلك.

يعمله بغير فهم (حكمة) يعود الي شر، إذ يجوز أن يعمله في غير وقته، أو بخلاف مقداره[1].

+ إما إذا كانت «**المشورة**» الصالحة والفهم (الحكمة) يفرزان الوقت والمقدار، كما ينبغي، فإن الأعمال تصير صالحة ونافعة من جهة المُستشِير والـمُستَشار.

في الإيمان والرجاء:

+ في كل الأمور - يا أحبائي - فليكن الإيمان بالله مُرشداً وقائداً لنا. وليكن الصالح تابعاً للإيمان. فنرجو الخير هناك (في الأبدية) فقط. ومن جهة الإيمان تقّويِ نفوسنا، وبالرجاء الصالح تنبسط الأعمال الصالحة[2].

---

(١) دعا القديس أنطونيوس إلي أقتناء فضيلة «**الإفراز**» (الحكمة أو التمييز السليم) وهو أم الفضائل في رأيه. وبدون حكمة لا تكون فضيلة أو خدمة، أو عمل خير يستحق الثناء.

(٢) من ثمار الإيمان السليم الرجاء والثقة بالله والصبر، والإنتظار والأمان والسلام والتسليم الكامل لمشيئة الله دائماً.

+ وإذا كانت الأعمال الصالحة لا تكمل بدون معونة الله. والمواهب الصالحة **لا تحصل بدون اجتهاد،** فيجب علي الإنسان أن يجتهد بقدر قوته. وأن يكون له إيمان ثابت، ورجاء صالح (في المسيح) ليقتني معونة الله، ويقوّي علي كمال الفضيلة (الجهاد مع النعمة).

في التواضع:

+ في كل ما نكسبه من فضائل، يجب أن نشكر الله، لأنه هو الذي أعطاها لنا، وقوّانا علي أن نقتنيها. وأن التواضع هو الكنز الذي يحفظ جميع الفضائل، وبدونه لا تصير فضائل (راجع كتابنا طوبي للودعاء).

خاتمة الرسالة:

+ هذه الأمور قلتها لمحبتك - ياحبيب - وقد صرّت كمن أعطاك بذار حقل الفضيلة، وأنت قبلّت ذلك، وعليك أن تزرعها، لتثمر في قلبك.

+ فاجتهد أن تعمل في هذا الحقل، وتجمع لك ثماراً كثيرة، ليكمُل فينا كلام الحكيم القائل:«أعطِ سبباً للحكيم، فيزداد حكمة».

+ + +

(٨) أنواع الأفكار الرديئة وعلاجها

• كيف تفرّق بين نوعي الأفكار الرديئة: التي تأتي من تهاون النفس، ومن حرب إبليس؟!

• ما سبب كل منهما؟ وما علاجه؟

• من أي نوع الأفكار التي تطيش في الصلاة؟

• ما موقفنا حيالها؟ وخاصة إذا استمرّت؟

+ الأفكار الرديئة التي تعوق الأفكار الجيدة تأتي بطريقتين:

(أ) إما عندما تتوانى نفس الإنسان، وتبقى طائشة هنا وهناك، فيما لا ينبغي. وتفتش في الخيالات الخبيثة، أو الباطلة.

(ب) وإما عندما يمُكر الشيطان، ويُلْقي الي قلوبنا أفكار الأعمال الرديئة ، ليجتذب نفوسنا من التفكير في الأعمال الكريمة (الصالحة).

• **أما أفكار النوع الأول:**

+ فلغفلة نفوسنا وكسلها، تنقطع منها الحرارة (الروحية) والاحتراس، فتنحّل وتُفكّر في أفكار باطلة. فيتنازل العقل، ويطيش فيما تفكر فيه (النفس) وحينئذ ينتقل من ضلال الي ضلال، ومن أباطيل الي شرور، ويسقط في أعمال رديئة.

+ فينبغي أن نُنهض نفوسنا من هذا الأنحطاط والتواني، ونميِّز قلبنا حتي يعود إلينا، فنُقيَمه حتي يكون حارساً متيقظاً، ناظراً في أعمال الله الصالحة، التي أمامه.

• أما أفكار النوع الثاني:

+ فتأتي عندما يبتديء الشيطان بمكره، أن يُلقي في نفوسنا أفكاراً شريرة تشبه سهاماً متوقدة، **ويُسكِنها في النفس التي تقبلها**، حتي يعسُر خروجها.

+ حينئذ ينبغي للإنسان أن يتيقظ ويتأمل ذاته، ويطرد هذه القتالات (الحروب الفكرية) الخبيثة، ويجاهد - كمجاهد نجا من يد قاتله - وعاد بشجاعة يحارب عدوه، ويحترس منه.

+ ويدّرب جسده أن يعود بسرعة (للتوبة) ثم يسلّم الإنسان نفسه للصلاة الدائمة، ويصرخ الي الله، طالباً معونته، ليعطيه غلبة في الحرب (الروحية) التي ثارت عليه، وينزع منه سهام إبليس الخبيثة.

+ وهو ما ذكره القديس بولس بقوله: «**خذوا**

لكـــم تُرس الإيمان، هـــذا الـــذي بـــه تقـدرون أن تطفـئوا جـمـيـع سـهـــام الخبيث المتـوقـدة نـــاراً».

الأفكار في الصلاة:

+ وحـتي - يا أحـبـائي - لو ألقي علينا عـدو الخيـر خيالاته وأفكاره الخبيثة في الصلاة أيضاً. فلا ندع نفوسنا تنحّل من الصلاة (نتركها).

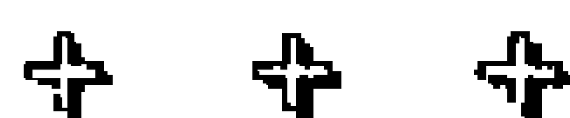
+ ولا تدعها تفكر أن تلك الأفكار، والخيالات الخبيثة هي لها من ذاتها، بل تعلم أنها من العدو، الذي هو معلم كل شر، بكل نوع لتزداد الطلبة، كإنسان يستغيث (إلي الله) ضد خصمه.

+ وهكذا تطرح النفس ذاتها قدام الله (تتضع) وتسأله لكي يُبعِد عنها جنود إبليس الخبيث المحيطة بها.

+ فإذا أرتفع عقلنا نحو الله، فليس شيء من أفكار

العدو يستطيع أن يغلب صلاتنا أو يمنّعها(١).

+ فإذا ثبت العدو في محاربتنا - وقت الصلاة - فلا ينبغي أن نقطع جهادنا (بل نستمر في التضرُّع) حتي ينظر الله الي جهادنا، فيشرق علينا بنعمة روح قدسه، ويطرد عدونا، ويعطينا سبباً لهدوء أفكارنا، لنعبده بفرح دائم. والمجد للآب والابن والروح القدس، آمين.



(١) من الأمور التي تُبعد الطياشة في الصلاة، التعمّق في الصلاة وأن تكون بترنيم، ومخاطبة الرب بخشوع وسجود وبروح التذلل والأتضاع والدموع، والتضرُّع وبرفع الصوت، وليس بالهمس أو بترديد صلوات سرية وحدها. والتطلُّع إلي صورة المصلوب أمامنا، وعدم محبة ماديات العالم التي تدفع القلب للإنشغال بها، حتي في وقت الصلاة.

(٩) النسك في المجمع (الرهباني)
وبعض قوانين الشركة الرهبانية

مقدمة موجزة:

(١) التجرد من الهيوليات (الماديات)، والقنية (الأملاك) والتحرر من آلامها.

(٢) ينبغي لأعضاء المجمع أن تكون لهم نفس واحدة، ورأي واحد.

(٣) لا يملك أحد شيئاً (معيناً)، بل يعطيه لمن يحتاجه فعلاً.

(٤) وجوب الخضوع للمرشد الروحي.

(٥) المحبة للجميع بمساواة.... والكرامة لمن له الكرامة.

(٦) ماذا عن من يحب قريبه - ولو كان أباه - اكثر من باقي الناس؟

(٧) ما هي شروط الكلام ؟ وما هو الحُكم علي الغمز واللمز؟

(٨) قوانين لأديرة العذاري.

وفيما يلي تفاصيل للنقاط السابقة:

• التخلي عن ماديات العالم:

+ سيرة النسّاك هدفها واحد وهو «**خلاص النفس**».

+ فكل شيء يقيم نشاط خلاص النفس ينبغي أن يحفظوه، كوصية الله. فإن وصية الرب لا تهدف إلا إلي خلاص سامعيها.

+ وكما أن الذين يدخلون إلي الحمّام، يتعرون من كل ملابس عليهم، فكذلك الذين يتقدمون إلي معيشة العبادة، يجب أن يتعرُّوا من هيولي (ماديات) هذا العالم أولاً.

+ ثم يدخلون إلي السيرة المملوءة فلسفة (حكمة روحية).

+ ويجب علي جميع المسيحيين أن يتعرُّوا من جميع آلام الشرور المختلفة (يتركوا محبة العالم) التي تتنجّس بها النفس.

+ ومن بعد هذا (التجرُّد) ينبغي للإنسان أن ينظر إلي السيرة العالية، ويزهد في جميع مقتنيات الحياة.

• حياة الوحدة المشتركة، في محبة:

+ فإذا فضّل كثيرون صورة الخلاص (خلاص نفوسهم في حال الرهبنة)، وارتضوا أن يعيشوا مع بعضهم البعض (في الدير).

+ فيجب - قبل كل شيء - أن يكون لهم قلب واحد، وإرادة واحدة، ورغبة واحدة. وأن يكونوا متفقين مع بعضهم البعض (بدون خصام أو إنقسام) وإن

كانوا أعضاء مختلفة (في أعمار وروحانيات مختلفة).

+ ولابُد أن يُقام هذا الناموس (يُطبق هذا النظام) في الأخوة المجتمعين (في دير) ألا يَدعِي أحد بأنه يملك من اللباس أو الأواني والآلات. وبالجملة جميع أصناف الحاجات تكون باسم واحد مخصوص من الأخوة، أي أنها لا تكون له وحده، بل لحاجة المجمع كله.

+ ولا يَبقَي شيء لصاحبه، الذي أتي به إلي المجمع، خاصاً به دون باقي الأخوة[1].

+ وكما أن الثوب القصير لا يصلُح أن يلبسه الجسد الطويل، والعكس بالعكس ، بل الذي يصلح هو أن يلبس كل جسد كمقداره، حسب مايوافقه وينفعه.

---

(١) يذكر سفر أعمال الرسل أن الكنيسة الأولي عاشت بروح «الإشتراكية» وبالتالي كان كل شيء ملك الكل. وكان يتم التوزيع علي كل الأعضاء، كلٍ علي حسب احتياجه، (أع ٤:٢٥).

+ كـذلك يجب أن نصنع في جـمـيع الأمـور التي للشـركة: كالأَسِـرَّة والمناطق (الأحزمة) والأحذية وغيرها، فيكون لكل واحد منها حسب إحتياجه بالحقيقة، لا لصاحبه الذي أتي به للدير.

+ وكـمـا أن المريض يسـتـعمل الدواء (المُرّ) وليس الهيّن والسهل الاستعمال. كذلك أيضاً في الأمور التي توافق راحة الجسد، تكون للذي يحتاج الي الراحة، وليس السهل منها فقط، فإن قلوب الناس مختلفة.

• المرشد السليم:

+ ليس لكل واحد أن يُشير (علي نفسه) بما ينفع، لئلا تسير حياته بأسلوب غير سليم. بل يجب أن يدفع نفسه للذي شُهِدَ له من الكل، بالسيرة الحسنة والفضيلة المختارة.

+ وهذا (المرشد الحكيم) ينبغي له أن يكون مُهذِباً

للباقيين، ليكون الخير الذي فيه (خبرات روحية) لهم جميعاً، عندما يتشبهون به، كما أن المصورين (الرسامين) إذا رسموا وجه واحدٍ، فإن الصور تكون متشابهة.

+ وعندما يختارون واحداً هكذا ويقيمونه (رئيساً للدير) فلتكن جميع إرادات الذين يتبعونه تابعين لإرادته (إدارته) كقول الرسول بولس:«كل الأنفس فلتخضع للسلاطين (السلطات أو الرؤساء) العالية، والذين يقاومونهم (يعاندونهم) ينالون دينونة».

+ والخضوع الحقيقي للذين يتتلمذون علي أيديهم، لا يبتعدون عن الشر، كما يأمرهم (المرشد) فقط، بل والخير لا يعملونه دون مشورته وتعليمه، لأن النُسك (التدريب والجهاد الروحي) وإن كان جميعه نافعاً، إلا أنه إذا عمله واحد بإرادته وحده، دون أن يطيع مُعلمه، فإن خطيته تكون أعظم، لأن

الذي يقاوم السلطان (السلطة الدينية) يقاوم حدود (نظام وشرائع) الله، وأجر الطاعة أعظم من إقامة (تداريب) النُسك (الجهاد الروحي).

• أهمية المحبة في المجمع الرهباني:

+ ويجب أن تكون محبتهم لبعضهم بمساواة، كما يُحِب الإنسان جميع أعضائه بمساواة بالطبع، كما أن ألم عضو - أياً كان - يجلب التعب لكل الجسد. هذا من جهة المحبة.

+ أما من جهة الكرامة، فهناك عضو أكرم من عضو، لأن أصبع القدم ليس مساوياً للعين، وإن كان الجسد كله يتألم بألم كل واحدٍ منهما.

+ ومن الظلم وجود قوم في المجمع مرتبطين ببعضهم (شلة واحدة) بعيداً عن غيرهم، لأن الذي يحب واحداً أكثر من الباقين، فهو يُظهِر أن المحبة الكاملة - في الكل - ليست فيه.

+ وكما يجب أن يخرج من المجمع كل خصام غير نافع، كذلك يجب أن تخرج منه هذه المحبة حتي لا يحب قوم أفضل من قوم.

+ لأنه كما تكون العداوة من الخصام، كذلك الحسد والمخالفات من الذين احتقروا هذه المحبة.

+ ولأجل هذا أوصانا الرب أن نتشبَّه بصلاح الذي يُشرِق شمسه علي الصالحين والطالحين (وهو الله المحب للكل).

+ فالموضع الذي تكون فيه المحبة الناقصة (محبة البعض دون الكل) فالبُغضة تدخل اليه.

+ وإذا كان الله هو «المحبة» كما قال الرسول القديس يوحنا اللاهوتي، الناطق بالإلهيات (Theologos). فإبليس هو البغضة (فالمبغض للناس ليس من الله بل من إبليس). وكما أن

الذي فيه المحبة يكون الله له، كذلك الذي له بُغضَة، فقد إقتني إبليس، ليسكن فيه.

+ وإن كانت المحبة ثابتة هكذا (حب لجميع الناس) فإنه لا تظهر محبة القريب بالجسد، حتي ولو كان إبناً أو أخاً (أكثر من محبة اللّه).

+ والذي يغلبه الطبع في هذا الأمر، فهو يجلب علي نفسه لوماً، لأنه لم يكن حريصاً من أمور الطبيعة بالكمال، بل تسيطر عليه الأفكار الجسدانية (محبة الأهل).

• ضرورة الكلام الصالح (الغير مُعثِر للآخرين)،

+ وليكن مرذولاً عندنا كل كلام ليست فيه منفعة (روحية)، والأهتمام (بعدم الكلام) الذي **في غير وقته** (أو في محله)، هذا الذي يكون من حديث بعضنا مع بعض (كلام المرء في أمور العالم).

+ أما الذي يجب أن نتحدث عنه، فهو الكلام

(الروحي) **الذي ينفعنا، ويبني أنفسنا**. وهذا (الكلام) فليكن بترتيب (بلياقة) وفي الوقت الواجب (المناسب) ومن قومٍ مؤتَمَنين علي الكلام (حكماء وعلماء).

+ ومن كان ناقصاً (ليست له خبرات روحية عالية) فليصبِّر(يستمع) حتي يتعلّم ممن هو أكبر (خبرة) منه.

+ والغمز والهمس في الآذان، فلنرذلهما، لأن كل الغمزات هي من النميمة، وتحريك العينين نميمة مخفّية.

+ وهذه الأنواع (من الكلام والأشارات) هي مبدأ البُغْضة والشك (سوء الظن). ولا ينبغي أن يكون في المجمع (الرهباني) شك.

+ فإذا دعت الضرورة الي كلام، فليكن مقدار الصوت كالحاجة (كلام قليل وبهدوء)، ولا يصيح

الواحد – للبعيد عنه – بزيادة عما تدعو الحاجة اليه.

+ ولا يخرج أحد من «**قلايته**» إلا للضرورة، وحسب ما رُسِمَ له ليعمله.

• قوانين لأديرة العذاري:

+ يجب أن يعرفن سيرتهن مرسومة بالحشمة والوحدة (السكون) ومحبة الأخوات، والثبات (عدم التنقل من دير لآخر) وألا يلتقين بالرجال.

+ وأما التي اؤتمنت علي أن تهتم بتربيتهن (رئيسة الدير) فلا تطلب ماهو حلو عندهن. وليكن الهدوء ومخافة الرب، والحياء، طلبتها دائماً.

+ وكل واحدة منهن لا تطلب مرضاة قلبها من الرئيسة، بل يجب أن تطلب خلاص نفسها وماينفعها (روحياً).

+ ولا تجاوب الرئيسة (لا تراجعها في الكلام أو تعاندها) بل تقبل أوامرها بغير فحص.

+ وأن تكون الراهبات كاملات في كل ما يتعلمنه، بغير حزن، لكن برغبة قلب، لتكون لهن أجرة الطاعة الكاملة.

+ وإذا جعلَت الرئيسة لواحدة منهن أن تصوم، أو أمرتها بأمر آخر، مما يوجب للجسد راحةً، لتقوّي من ضعفها، فلتطِعُ أمرها بطيبة قلب. وفي كل مايقال من جهة الرئيسة هو ناموس (أمر واجب التنفيذ).

+ وإذا دعت ضرورة أن يقلن كلاماً من أجل المنفعة (الروحية)، فليقلنّه علي لسان أمهن - ومعها أخري أو أثنتان من الأخوات اللواتي تعدّين مرحلة الشباب. واللواتي لا ضيق عليهن من جهة لقاء الرجال والحديث معهم، في أمر سيرتهن الحسنة.

+ وإذا كـــان لواحـــدة فكر في ذاتها (في قلبـهـا) وتري مـاينفـعـهـا، فلتنقُل ذلك للأم، ولتُطِع مـا تقـوله لها.

+ + +

(١٠) عن محبة الله

+ محبة الله أمر كائن في طبعنا منذ أن خلقنا الله، كمحبة الابن الطبيعية لأبيه، والأب لأبنه.

• تأتي محبة الله:

+ بحفظ وصايا الله، وهي تنبع من الفضيلة.

+ ونحن بطبعنا نحب الخير والجمال والصلاح، وكلها في الله.

+ وإحسانات الله إلينا - وهي لا تُحصَي - تدعونا الي محبته (لذلك يجب التأمل في عطاياه لنا).

+ يجلب إبليس علينا الغفلة، بالشهوات العالمية، لكي

لا نذكر إحسانات الله إلينا، بل نفتخر بقلة طاعتنا.

+ وسئل القديس باسيليوس «كيف نصل الي محبة الله؟!».

+ فقال القديس:

* «محبة الله، لا تحتاج أن نتعلمها من الناس، لأنها مغروسة فينا - منذ خلقتنا. فكما أننا لا نتعلم من آخرين أن نهتم بالنور، ونحب الحياة، أو نحب الذين ولدونا، أو الذين ربّونا، كذلك بالأكثر الشوق الذي فينا لله».

« ليس هو خارجا عنا، بل إنه - من بداية خلق الإنسان - قد أحب الله، لأنه هو مصدر الخير، والوصايا التي للكمال(١)».

---

(١) إن التأمل في إحسانات الله لنا، وفي صفاته الجميلة، تجعلنا نحبه كثيراً، خاصة بعدما مات الفادي عنا وخلصنا، وفتح لنا الفردوس المُغلق. وأعد لنا الملكوت السعيد والدائم.

+ ومحبة الله تعني ضرورة تنفيذ وصاياه :«من يحبُني يحفظ وصاياي»(يو ١٤: ١٥-٢٣).

+ ونحن نذكركم - من أجل محبة الله - لأنه دين علينا نحو الله.

+ وأن القُويَ التي خلقَّها الله فينا، إذا ما استعملناها جيداً - حسب الغرض الذي وُضِعَت من أجله، فاننا نُكمِل سيرة فضيلة العبادة. وإذا كسلّنا وأفسدنا أعمالها، فحينئذٍ نسقط في الرذيلة.

+ فحد الرذيلة - إذن هو استعمال قوانا في خلاف ما وُضِعَت له. وهذا هو العمل بخلاف وصية الله. والفضيلة تتم باستعمال قوانا (قدراتنا) فيما وضُعِتَ له.

+ وكل واحد يعرف محبة الله من ذاته. فنحن نري أننا نشتهي الخيرات بطبعنا، ونحب الذين

يحبوننا، والذين هم من جنسنا، ونُفَضِّل عمل الخير مع من يعمل الخير معنا، من غير أن نتعلم شيئاً من ذلك من غيرنا.

+ وأي جمال (شيء بديع) يستوجبّ الشوق إليه، والمحبة له، مثل جمال الله الكامل الدائم؟ وأية أفضال مثل أفضاله علينا، الفائضة والشاملة؟ فأي حب يكون مثل الحب لله، من النفس النقية من جميع الشرور، هذه التي تستطيع أن تقول بقلب طاهر: «إنني مجروحة بالمحبة» (نش ٢:٥).

+ فأشعات مجد الله، لا يدركها قول بشري، ولا تسمعها أُذن. وإذا وضّعت نور الشمس والقمر والكواكب جميعها، فاعلم أنه كلا شيء بالنسبة لذلك البهاء(الضياء) العظيم.

+ وأنه بعيد جداً، عن ذلك النور الحقيقي، أكثر من

بُعد ظلمة الليل الشديدة عن النور النقي، الذي يكون في وسط النهار. وهذا الحُسن الذي بهذا المقدار، لا يمكن أن يُرَي بعينيَّ الجسد، ولكن النفس تدركه بالعقل فقط.

+ وإذا استحق واحد من القديسين، أن يري هذا النور هكذا، فإنه يكون في الشوق العظيم، والمحبة الفاضلة التي لله، هذه التي لا يشبع منها ولا يمّل منها أبداً.

+ وحتي أن المرء يمّل من حياة العالم،(مهما كانت فيها من مُتع) فيقول:

* «الويل لي فإن غُربتي قد طالت» (مز ١١٩:٥).

* «متي آتي وأظهر(أقف) قدام إلهي» (مز ٤١:٢).

* «أن أنحلّ (أنطلق) وأن أكون مع المسيح (ذلك) أفضل كثيراً» (في ١:٢٣).

* «إن نفسي عطشت الي الله الحي القوي» (مز ٤١ :١).

* «أطلق عبدك بسلام – ياسيد – حسب قولك» (لو ٢: ٢٨).

+ «فالإنسان يُفضِّل الخير بطبعه. والخير الحقيقي المحبوب هو الصلاح(البّر)، والصلاح هو الله.

+ وكل البشر يشتهون الخير، والذي يبتعد بشّره عن هذا الخير، فهو كعين ابتعدت عن نورها.

+ وأنت تجد **محبة طبيعية** (غريزية) موجودة في المولودين، **وهم أطفال لأمهاتهم**. وليس هذا في البشر فقط، **بل وفي البهائم والوحوش والطيور** أيضاً (التي تحب وتشفق علي صغارها).

+ فلا نكن أقل من الأطفال محبة، وأشّد وحشية من الوحوش. إذ لا **تظهر محبتنا**

الطبيعية (الفطرية) الكائنة فينا لله، الذي هو أبونا السماوي، وسبب وجودنا الأصلي، ومُدبِّر حياتنا بجُودِه وحكمته ورعايته.

+ وإذا كان الأطفال الصغار يتعلقون بأمهاتهم. والبهائم (الحيوانات) تتبع من يعمل معها الخير، لأنه قال: «الثور عرف قانيه (صاحبه) والحمار عرف معلف سيده»(إش ١:٣)، فكم بالأكثر يجب علينا: أن نتعلق بمن نحن منه، **ونتبع من يجود علينا دائماً**(بالخيرات) لئلا يتم علينا هذا المكتوب: «اسرائيل لم يعرفني، وشعبي لم يعرف من أنا؟!»(إش ١:٤).

+ وإذا كان الذين يصنعون الخير، نؤثر (نرغب) أن نحتمل من أجلهم أتعاباً كثيرة، ونحب أن نُعوِّضهم أضعافاً، عن الخير الذي صنعوه معنا، فلسنا نقدر أن نصف جميع أفضال الله علينا، وخيره لدينا. هذه التي قيل عنها: «أنها أكثر من

العدد». وهي عظيمة الي درجة أن واحدة منها كافية لأن تطيّب قلوبنا من أجلها، بشكر الله دائماً علي عطاياه.

+ وينبغي أن نذكر صلاح الله وخيراته، وهي كثيرة جداً في عددها وعظيمة في مقاديرها - كالنجوم - وغيرها من بركاته كإشراق الشمس (بدفئها)، ودوران القمر(بنوره) ولطف الهواء (جمال الطقس) ومجري الماء العذب، وقطرات الأمطار، وامتلاء البحار، وسعة (مساحة) الأرض، وكثرة أصناف نباتاتها، والأسماك والحيوان والطيور والدواجن، وباقي المخلوقات، التي كرسها الله لخدمة حياة الإنسان علي الأرض.

+ علاوة علي النعمة العظيمة، التي إذا تجاوزنا هذه (العطايا السابقة) كلها، لا يمكن أن نتجاوز عن ذكرها، فهي خلق الله الإنسان علي شبهه

وصـــورته (في الخلود – الحـرية – العـقل – الإرادة....الخ). وجعله مستحقاً لمعرفته.

+ وأكرمه وميزَّه عن الحيوانات. وزيَّنه بالنُطق، وتركه يتمتع بالبهجة والجمال في الفردوس، وأقامه رئيساً(سلـَّطه) علي كل ما في الأرض.

+ وبعـد هذا، لما أطغـاه الشـيطان، وسـقط الي الموت(بالخطيـة) لم ينسـه الخـالق، بل أعطاه الناموس عوناً. وأقام (خصص) الملائكة لحفظه والاهتمـام به، ووعدنا بالكثير جداً من الوعود العظيمة.

+ وأرسل له الأنبياء، لتوبيخ الشر وتعليم الفضيلة. ونزع أسـباب الشـر بتحذيراته، والمجازاة عن الخير والشر. وأظهر ذلك بصور كثيرة لتأدُّب الناس.

+ ومع إننا ظللنا في عصيانه، رغم كل ذلك، إلا انه

– بصـلاحـه – لم ينسنا، بل أقـامنا من الموت، وأحياناً بربنا يسوع المسيح. فأخذ شكل العبد (تجسد وتأنس) وحمل أمراضنا (الروحية = الخطايا) واشترانا (بدمه) من لعنة الخطية، إذ صار لعنة لأجلنا (لأنه ملعون في الناموس من عُلِقَّ علي خشبة).

+ واحتمل (الفادي) الموت الـمُهين ليردنا الي الحياة (الأبدية) دفعة أخري وأنعم علينا بشرف اللاهوت (التمتع بثمار ومواهب الروح القدس في النفس). وهيَّأ لنا مواضع الراحة الأبدية (في الملكوت) هذه التي تعلو علي فكر الإنسان أن يصف عظم بهجتها.(راجع سفر الرؤيا٢١)[١].

+ فما هو الذي نجازي به الرب، عوضاً عما صنعه

(١) قال القديس بولس: «ما لم تر عين، ولم تسمع به أذن، وما لم يخطر علي قلب بشر، ما أعدّه الله (في سماه) للذين يحبونه» (١ كو ٢:٩).

بنا؟! وهو لا يطلب منا أي مقابل (عن إحساناته)، بل من أجل عظم محبته لنا، أراد منا أن نُحبه.

+ أما إبليس (فهو في غيرته وحسده وكراهيته لخلاصنا) فيجلب علينا الغفلة (التهاون) والشهوات العالمية (شهوات الجسد والطعام والمال والمناصب.....الخ). ويريدنا إن نفتخر بقلة طاعتنا(لله). ونحن بإهمالنا لوصايا ربنا، نعطي العدو سبباً للارتفاع عليه، ومن أجل ذلك يقوي علينا عدو الخير.

+ فلتكن - ياأحبائي - محبة الله كائنة فينا (في قلبنا) كل حين، لكي تعمل في نفوسنا، وننال بركة طاعة الله، وتنفيذ وصاياه، بحب وليس بالغصب.



(١١) عن محبة القريب

● محبة القريب(١) طبيعة فينا

تقويها وتنميها وصايا الله.

● محبة الله والقريب مرتبطان معاً.

محبة القريب:

+ أمرنا الرب أن نحب قريبنا مثل أنفسنا (لا ١٩:١٨، مت ٢٢:٣٩).

+ وقد زرع الله المحبة في طبيعتنا، منذ الابتداء، وأن الإنسان وحده - دون جميع الحيوانات - أنيس بطبعه، مشارك لغيره(٢).

---

(١) **القريب:** ليس هو قريب النّسب والدم فقط (Relative) بل كل من يقترب (neighbour) منا: كالجار والرفيق والزميل والصدّيق. وكل محتاج لمساعدتنا، بدون النظر إلي جنسه أو دينه أو لونه، كما صوّره الرب لنا في مثل «السامري الصالح» (لو ١٠: ٣٠ - ٣٧).

(٢) يذكر علماء النفس والاجتماع أن الإنسان «حيوان اجتماعي».

+ وهذه الزروع (الفضائل) التي غرسها الله فينا، يطلب ثمارها منا، لأنه قال إن **علامة المحبة لنا منه: هي أن نحب بعضاً بعضاً** (يو ١٣:٣٥).

+ ولم يطلب الرب من تلاميذه -الاهتمام بما أعطاهم من عمل المعجزات - لكنه طلب منهم ماغرسه في البداية في طبيعتهم المشتركة فقال:

* « بهذا يعرف كل أحد منكم أنكم تلاميذي، إذا ماأحب بعضكم بعضاً» (يو ١٣:٣٥).

+ وهكذا في كل موضع (علّم فيه) طلب هاتين الوصيتين مرتبطتين إحداهما بالأخري[١]. حتي أن الخير الذي نصنعه يرفيقنا - من أجل الله - يقبّله الله إليه، كأننا قد صنعناه به هو ذاته، فقال له المجد:

---

(١) لخصً الفادي أساس المسيحية الحقة في كلمتين معاً: «تحب الرب إلهك من كل قلبك... وتحب قريبك كنفسك» (لو ١٠:٢٧).

«إني جُعتُ فأطعموني .....» الي أخر قوله «إذا صنعتم بأحد إخوتي الأصاغر (المساكين) فبي صنعتم»(مت ٢٥:٣٥-٣٩).

+ فمن جهة الوصية الأولي، تقدَّر أن تُقّيم الوصية الثانية. ومن أجل الثانية، نعود الي الأولي.

+ والذي يحب الله، هو يحب قريبه حقاً، لأن الرب يقول :«من يحبنُي يحفظ وصاياي»(يو ١٤:٢٣) وقال أيضاً :«وهذه وصيتي :أن يُحب بعضكم بعضاً، كما أحببتكم» (يو ١٣:٣٤).

+ ولهذا فإن عبد الله الأمين «**موسي**» (النبي) أظهر محبته لإخوته الي الغاية العظمي (أكبر حد) إلي أن رضي أن يمحي الله اسمه من «سفر الحياة الأبدية»، الذي كتب فيه، إذا لم يغفر الله خطايا شعبه (خر ٣٢:٣٢).

+ والقديس بولس تجاسر وطلب أن يكون

مفروزاً(محروماً) من المسيح بالجسد، عن إخوته الاسرائيليين (رو ٩:٣). وبذل ذاته عن خلاصهم متشبهاً بالفادي.

+ ويكفينا أن نعلم منه[١]، أن القديسين إنما بلغوا الي مقدار رتبتهم (الروحية العالية) بمقدار محبتهم للقريب[٢].

+ أما الذين دخلوا الآن الي عبادة الله(بعد إيمانهم)

---

(١) راجع صفات المحبة كما حددها القديس بولس (١ كو ١٣)، والإنسان المؤمن محب ومتضع ورحيم وحكيم، ويتمثل بالمسيح في محبته للخُطاة، كمرضَى في حاجة لعلاج لا عقاب، فيعذُر القريب كبشر، ويصفح عن إساءاته إليه، ويصلي من أجل أن يرحمه الله، وينقذه من خطاياه.

(٢) كان الشهداء والمعترفون يصلون من أجل الذين أساءوا إليهم، فقد دعا الشهيد أسطفانوس بالرحمة لراجميه، ودعا كل من مارمينا وأبي سيفين للسياف!! (وهو درس هام لكل نفس).

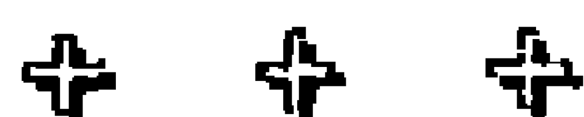
وهم غرس جديد، فيكفيهم أن يتعلموا مخافة الله، وهي تنفعهم، لأن «رأس الحكمة مخافة الله»، كما قال سليمان الحكيم.

+ وأما أنتم الذين تجاوزتهم الطفولية (نميتّم في النعمة) ولم تعودوا تحتاجون الي اللبن، ولكم قوة (روحية) علي أن تكملُّوا الإنسان الجواني بالطعام القوي (عب ٥:١٣-١٤)، فيجب عليكم أن تجتهدوا في (حفظ) الوصايا العظمي، التي هي رؤوس (كالمحبة والرحمة والاتضاع والحكمة....الخ) وبها تُقَام محبة المسيح الحقيقية.

+ فلنتحفظ - ياأحبائي - بخوف ورعدة (من السقوط في الخطايا) لئلا كثرة عطايا الله تُصيرً لنا دينونة صعبة، فانه قد كُتِب :

+ «من استُودع كثيراً، يُطالب بكثير» (لو

١٢:٤٨). فلنشكر كرامات (عطايا) الله الكثيرة، التي أنعم بها علينا، ونمجده دائماً، والي الأبد، آمين.



(١٢) عن عدم الأنشغال بالأرضيات

- من أجل أنه يجب للنفس (الناسكة) ألا تنشغل بالأرضيات.
- النسك - كأي عمل آخر - يحتاج الي تفرُّغ.
- فوائد الانفصال عن العالم ومداومة ذكر الله وحفظ وصاياه.
- أضرار الاختلاط، وإمكانية تنقية النفس في الوحدة.
- لماذا لا نستطيع أن نسير بالكمال مع الاختلاط بغير المتحفظين؟!

التفرغ لحرفة واحدة يؤدي الي إتقانها[١]،

+ هذا ما ينبغي أن نعمله ونعمل به، لئلا نكون غير

(١) وهو ما ينادي به العلم الحديث من ضرورة التخصص الدقيق، لمزيد من الخبرة والإتقان.

حافظين لشيء من الوصايا، ولا لمحبة الله، ولا لمحبة القريب. وتنقسم (تتوزع) أفكارنا بين الأمور الأرضية. ونهتم بما هنا وهناك.

+ ولا يقدر أحد أن يتعّلم صناعة(حرفة) إذا ظل يتنقل من صناعة الي صناعة، ومشتغلاً(منشغلاً) بأمور أخري.

+ ولا يمكن للإنسان أن يُتقِن حرفته إلا بعد أن يعرف الأمور التي تَكمُل بها، لأن أعمال الإنسان تابعة لتصّوره. ولا يمكن أن يعمل بالحدادة، وفي صناعة أخري، فكل صناعة(حرفة) تتطلب الأمور اللائقة بها.

+ إذن، فالنُسك والجهاد الذي يُرضِي الله، لا يستقيم مع اهتمامات العالم.

• الزواج:

+ مع أن الله أعطي سر الزيجة وباركها، لكن الذي يريد أن يتفرغ لله، لا يهتم بهذا الأمر، لأن

الكتاب أشار الي أن الذي يتزوج يهتم بإرضاء زوجته، أما غير المتزوج فيهتم كيف يُرْضِي الرب (١كو ٣٢:٧ - ٣٣).

• العالم لا يعرف الله:

+ شهد الرب بطهارة قلوب تلاميذه لعدم انشغالهم بدنس العالم (يو ١٥، ١٧).

+ وقال: «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله» (يو ١٤: ١٧).

• كيف نتحرَّر من العالم؟!

+ بالنمو في طريق الكمال(النعمة) وننسي عاداتنا القديمة، والانفصال عن أقاربنا بالجسد، للتفرغ (التكريس) للعبادة.

* «كل واحد منكم، إن لم يرفض كل ماله، لا يقدر أن يكون لي تلميذاً».

* «إن مدينتنا نحن في السموات» (في ٣: ٢٠).

+ بذكر الله وحفظ وصاياه:

* «إذا ما أحببتموني، فاحفظوا وصاياي» (يو ١٤:١٥).

+ وأرانا الرب نفسه صورة عملية لنقتفي أثرها:

* «كما إني حفظت وصايا أبي، وأنا دائم في محبته» (يو ١٥: ١٠).

* «إني لم أنزل من السماء، لأصنع مشيئتي، بل مشيئة من أرسلني» (يو ٦:٣٨).

+ وعلّمنا أن تكون مشيئتنا كمشيئته، وأن يكون عملنا مثل عمله، كمعلّمي صناعات هذا العالم.

+ وكما أن الحداد، إذا ما أعطاه أحد آلة وطلب منه

أن يعمل له مثلها، فإنه إذا ما نذكر المطلوب فإنه يعمله، أما إذا نسي ذلك، فإما : ألا يعمل شيئاً، وإما يعمل غير المطلوب.

+ كذلك المسيحي، إذا ظل ذاكراً الله، فهو يعمل إرادته كما أمره، ويُتمّم المكتوب :«إني سبّقت أنظر الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني لكي لا أتزعزع» (مز ١٥:٨) وقوله:

* «إذا ما أكلتم أو شربتم أو صنعتم شيئاً آخر، فكل شيء اصنعوه لمجد الله» (كو ١٠:٣١).

+ نتذكر أن الله يتطلع إلينا:

+ فلنتذكر صوت الله الذي قال:

* «إني أملأ السماء والأرض، قال الرب» (إر ٢٣:٢٤).

* «أنا إله قريب وليس بعيداً».

* «حيث يكون إثنان – مجتمعين بإسمي ـ فأنا أكون هناك في وسطهما» (مت ١٨ : ٢٠).

+ **غرضنا إرضاء الله لا الناس:**

+ وأنا أري أن هذا الأمر يستقيم بكلمة واحدة، وهي ألاّ نعمل وصايا الله لمرضاة الناس. فلا يجوز لنا أن نميل الي النواقص، والأفضل أمامنا.

+ والنفس المتيقظة والصحيحة، إذا ما تأكدت أن الله ينظر إليها، وجعلت طلبها ما يُرضيه، لا تكسل عن وصايا الرب، ولا تميل لوصايا الناس. ولا يمسكها شيء من أعمال هذه الدنيا، ولا تطغيها كرامة (مجد) هذا الزمان، كالذي قال:

* «تكلم معي المنافقون بكلام كثير، وليس مثل ناموسك يارب» (مز ١١٨).

* «تكلَّمت بشهاداتك قدام الملوك ولم أخجل» (مز ١١٨).

من فوائد عدم الاختلاط بالمخطئين:

+ نافع جداً: تفرُّغ النفس واعتكافها. وأن نعتكف في مساكننا لكي لا نختلط بالذين لا يحفظون الوصايا جيداً كما قال سليمان الحكيم:

* «لا تصاحب غضوباً، ولا تساكن (ترافق) صديقاً حانقاً، لئلا تتعلم (تقلده) من طرقه...» (أم ٢٢ : ٢٤ - ٢٥).

+ لا نجد سبباً للخطية: «لا بالعينين ولا بالأذنين، وحتي لا تنغرس فينا عادة الموت الرديّة، ونحن لا نعرف. ويبقي مثال مانراه ومانسمعه قائماً في أنفسنا، ويصير لنا هلاكاً.

• تنقية النفس في الوحدة:

+ لذلك وجب افتراقنا في السكن، لنقهر العوائد

التي لسيرتنا الأولي، التي كنا فيها، ونحن غرباء عن وصايا الله.

+ وليس جهاداً يسيراً لمن يكون قد قويت فيه عادات من زمان طويل، وأخذ قوة من الطبيعة (تملكت العادة علي النفس).

+ وبالصلوات الطويلة والقراءات الدائمة، في كتب الله، يمكننا أن نَستأصِل من النفس أدناس الخطية.

+ وليس هذا بإمكاننا، مادمُنا منشغلين بأمور هذا العالم(الماديات) لأن الذي يعيش في هموم هذا العالم كيف يقدر أن يُكمِّل المكتوب: «أن من يأتي اليَّ، فليرفض(رغبات) نفسه» (مت ١٦: ٢٤).

• ضرورة حمل صليب المسيح:

+ فينبغي أن نرفض نفوسنا(المادية) ونحمل صليبنا(بفرح وشكر وصبر) ونتبّع المسيح ربنا.

+ ورفضنا نفوسنا هو بأن ننسي جميع عوائدنا الأولي، وأن نبتعد عن أهوائنا (رغباتنا الجسدية).

+ وحملنا صليباً، واتباعنا الرب معناه أن نكون مستعدين أن نموت مع المسيح(نحمل الألم والظلم بلا تذمر بل بشكر) وأن نُميت أعضاءنا الأرضية، وأن نكون محتملين كل ضيق يأتي علينا من أجل المسيح، ونقتلع قلوبنا من(التفكير) في أمور هذا العالم.

لماذا لا نستطيع ذلك وسط الناس؟!

+ هذه الأمور لا يمكن إقامتها مع الاختلاط بغير المتحفظين، لأن النفس إذا رأت كثرة الجموع الغير متدينّة:

(١) لا تحس بخطاياها، فلا تتوب عنها.

(٢) أنها تقارن حالتها بالنسبة الي حالتهم، فتظن أنها أفضل منهم.

(٣) لا تتفرغ النفس في وسط جلبة الناس، فتخسر الفرح بالرب، ولا تقدر أن تقول:

* «ذكرت الله ففرحت». ولا «ما أحلي كلامك في حلقي، اكثر من العسل بشمعه في فمي» (مز ١١٨)

✣ ✣ ✣

(١٣) عن فوائد المجمع

- **الذي يتوحد قبل قضاء فترة في المجمع.**
- **الذي يتوحد بدون إرشاد أب روحي.**
- **الذي يغلق علي أخطائه قبل علاجها.**
- **المتوحد غير المحب للناس.**
- **المتوحد الذي يخفي مواهب الله له.**
- **المتوحد بغير إفراز (حكمة).**

+ لا نظن أن القديس باسيليوس يهاجم التوحد علي الاطلاق، وإنما التـوُّحد الخاطيء فقط.

س: هل الذي يفترق عن القوم الرافضين لوصايا الله، يجب له أن يبقي وحده؟! أم يقيم مع أخوة آخرين - بقلب واحد - في عبادة الله؟!

الجواب: أنا أري أن سُكني جماعة(رهبانية) بعضهم مع بعض، جيد ونافع لما يلي:

(١) أن المنفرد وحده لا يقدر أن يكفي ذاته في حاجة الجسد، لأن بعضنا يحتاج لبعض في الاحتياجات الضرورية، كاحتياج بعض (أعضاء) الجسد الي بعض، لأن الله خلقنا هكذا – منذ البدء – محتاجين بعضنا لبعض، لنكون مرتبطين بعضنا ببعض.

(٢) وأيضاً فإن عمل المحبة – في المسيح – يأمرنا بألا يطلب كل واحد منا ما ينفعه وحده، بل وما ينفع رفيقه.

* وقد قال بولس الرسول «إن المحبة لا تطلب الذي لها» (١كو ١٣: ٥) {ما لنفسها}.

(٣) والساكن وحده، إنما يعمل ما يُرضيه وحدهُ. ويتداوي بما يوافق جسده. وهو ضد ناموس المحبة، التي أكملَّها الرسول(بولس) ولم يطلب ما ينفعه لنفسه وحده، بل منفعة الكثيرين. وأن يخلصوا.

(٤) وأن المتوحد، لا يعرف نقصه بسهولة، إذ ليس من يبكتهً، ويؤدبهً بشفقة، لكي يستقيم ويكمّل المكتوب : «ويل للواحد إن سقط ، من الذي يساعده؟» (جا ٤ : ١٠) بل نجد أيضا أن تبكيت العدو يصير سبباً لشفاء المشتهي خلاصه.

(٥) والذين يعيشون في جماعة يكملون أكثر الوصايا بسهولة، مثل أفتقاد المرضي،

ومشاركة حاجة العاجزين، وإطعام الجائع وسقّي العطشان، خاصة في الأماكن البعيدة. فالأعضاء (في الدير) مثل أعضاء الجسد الواحد، الذي إذا تمجّد تفرح معه سائر الأعضاء، وإن مرض عضو، فإن جميعها تمرّض معه.

(٦) أن الله يعطي لكل واحد مواهب تلزم لغيره في الشركة. فقد ذكر القديس بولس الرسول أن واحداً يُعطيَ له كلام حكمة، ولآخر معرفة، ولآخر مواهب شفاء.

* فالبضرورة إن المتوحد إذا نال موهبة، فإنه يخفيّها في ذاته، ولا يقدر أن ينتفع بها غيره، وهذا خطر، أما في المجمع، فإنه ينفع بها الجماعة.

(٧) ومن فوائد الاجتماع الصالح، إن كان واحداً

ينعس وينام النوم المستوجب للموت (مز ١٢) فيحتاج لمن يوقظه من الأخوة المحترسين، لأن الذي يبكته الكثيرون يبتعد عن توانيه سريعاً، ويكُمل فيه قول الرسول :«يكفي هذا(المتهاون) الانتهار، الذي صار له من كثيرين».

(٨) والذي ينمو في الفضيلة - في المجمع - يكون له عزاء كثيراً وثباتاً (في الايمان) ونمواً ظاهراً لمدح الاخوة لفضيلته، عندما يمتحنون عمله - أما الواحد وحده، فقد يظن أنه قد وصل الي كمال الفضيلة، وإن كان ناقصاً، وهو لا يعرف مقدار نموه (في النعمة).

(٩) وكيف يقدر أن يُكمّل التواضع والرحمة، وهو لا يجد من يتضع له، ولا من يتحنن عليه؟! وكيف يكون طويل الروح(محتمل) وليس عنده إنسان يقاوم مشيئته؟!.

+ فإن قيل أن الكتب تكفيه، لكي تُعلمّه إقامة

الفضيلة، فليعلم أنه يُشبه إنساناً يعلم النجارة، ولم يباشر عملها بالفعل.

* وقال الرسول بولس :«ليس كل الذين يسمعون الناموس (يعرفون الوصايا) هم الأبرار عند الله، بل الذين **يعملون بالناموس** (كلام الله) هم المبُرُّون» (رو ٢ : ١٣).

* وربنا له المجد لم يُعلّم التواضع بالكلام فقط، بل قام بتكميله بالفعل، فاشتّد بمنديل، وغسل أرجل تلاميذه. وأنت: تغسل أرجل من؟ أو تصنع خيراً لمن؟ أو تكون أحقر ممن إذا كُنت متوحداً؟!

+ وكيف ينطبق عليك المكتوب: «ما أحسن وما أحلي أن يجتمع الأخوة معاً». فهؤلاء قد شبّهم الروح القدس «بالطيب» الكائن علي رأس هارون رئيس الكهنة (مز ١٣٢).

(١٠) فـمـيـدان جـهـاد، وسلوك رفـيـع إلي العُلّو، وتدريب دائم في وصـايا اللّه، في مُسـاكنة الأخوة بعضهم مع بعض. والله يتمجّد فيهم، ويُكمّل فيهم قول ربنا: «ليكن نوركم مضيئاً – قُـدّام الناس – ليُـروا أعـمـالكم الحـسنة، ويُمـجـدوا أباكم الذي في السـمـوات» (مت ٥:١٦).

* وهم يشـبـهـون الذين كُـتب عنهم في قـصـص (أعمال) الرسل:

+ «إن كل الذين آمنوا، كـان لهم أتفـاق (رأي) واحد. وكـل شيء كان لهم جميعاً. وأيضاً: «إن الذين آمنوا كانوا بقلبٍ واحد ونفسٍ واحدة، ولم يكن أحد يقول عن شيء إنه له، بل كل شيء كان له بشركة (مشتركاً)...» (أع ٢:٤٤، ٤:٣٢).

✠ ✠ ✠

(١٤) مبدأ رفض الإنسان الروحي لكل ماله

(١) يجب أن يرفض الإنسان (الراهب) كل ما له، وبعد ذلك يتقدم إلي (الجهاد في) الفضيلة.

(٢) وهو ما أكده الرب: «إذا لم يرفض (يترك) الواحد منكم كل ماله، لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً».

(٣) وقبل كل شيء، يجب علينا نحن الذين تركنا عنا خفايا الفضائل (الشرور القبيحة) أن نرفض إبليس وكل أعماله (الشهوات). وبعد هذا نرفض الجسد وآلامه (لذاته) والأقرباء بالجسد، وكذلك ترك مُصادقة الناس (أهل العالم) وكل عادة تُضاد بشارة الخلاص (خلاص النفس).

(٤) والأمر الضروري بالأكثر أن ينكر الإنسان ذاته، ويترك الإنسان العتيق وأعماله (الحياة السابقة للتوبة) ويرفض أمور هذا العالم التي

تُغيّر صورة العبادة، والذي صُلِب للعالم من أجل المسيح، وصُلِب العالم له، كيف يقدر مرة أخري أن يتعبّد لشيء (مادي) من أهتمام هذا العالم؟!

+ وجاء في تعليم ربنا: «مَنْ يريد أن يتبعني فلينكر نفسه (يتضع) ويحمل صليبه» (مت ١٦: ٢٤). وأضاف الرب يسوع قائلاً: «وحينئذٍ يتبعنّي».

+ وقال له المجد أيضاً: «مَنْ يأتي إليَّ ولا يُبغِض أباه وأمه وزوجته وأخوته وأخواته، وأيضاً نفسه، لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً» (لو ١٤: ٢٦) أي يجب أن **تكون محبة الله أكثر من كل الأقارب والأهل.**

(٥) فكمال الزُهد ألا نترك لنا شيئاً مما في العالم، بل نحتقر الحياة (المادية) أيضاً. وأن نجعل الموت قدّامنا (نتذكره باستمرار) حتي

نقـــول: «نـحـن أيـضـــاً لـسـنـا مُـــتـكـلـين عـلي أنفسنا».

* ونترك كل ما لا ربح (مادي) فيه، كما فعل تلميذا الرب يعـقـوب ويوحنا، اللذين تركـا أبـاهمـا والسفينة. فتخلصاً من حياتهما العالمية. وما كان به مـقـومـاتـهـا. والقـديس مـارمـتـي ترك جـمـع الضـرائب وقام وتبع الرب. فليس أنه ترك ربحه (المادي) فقط، بل واحتقر ما تلحقه من كرامة (عالمية) لتهاونه بالسُلطَة (ترك المركز المالي الكبير الذي كان يشغله).

* وكذلك القديس بولس الرسول الذي ترك كل شيء وتبع الرب يسوع، وصُلِب العالم له.

(٦) فالذي يشتهي بالحقيقة أن يتبع المسيح، لا يَعُد – مرة أخري – للخلْف، ولا ينظر إلي شيء مما لهذا العالم.

* ولا يتطلع إلي محبة آبائه (الجسديين) إذا ما أرادوا أن يُعثروه في تكميل أوامر الرب (ترك التكرّيس) وهذا هو وقت البُغض لهم (محبتهم أقل من محبة اللّه ووصاياه)·

* فإن الرسل القديسين عملوا.وقالوا هكذا: «يجب أن يُطاَع اللّه أكثر من الناس» (أع ٥:٢٩)·

* وعندما كانوا يصنعون خيراً، ويسخر منهم الجُهلاء، لم يلتفتوا إلي هذا ولا إلي ذاك، ولم ينهزموا من استهزاء الناس لهم·

(٧) وإذا كان الرسول بولس قد عد بعض وصايا الناس خسارة، كالختان، وحفظ السبت، لأنها صارت له عثرًة، عند معرفة المسيح، فماذا يقول الإنسان المُبتعِد عن الناس، إذا ما عاد لسيرة العالم؟!

(٨) وما الحاجة بعد أن نقول كلاماً من جهتنا، أو

بشهادة قديس، وربنا قال للشاب الغني: «قبل كل شيء، امضِ وبِع كل ما لك وأعطه للمساكين». وأضاف قائلاً: «وحينئذٍ تعال وأتبعّني» (مت ١٩).

+ ثم ذكر لهذا المعني مثلاً فقال عن ملكوت السموات أنه يُشبه تاجراً يطلب الجواهر الكريمة. وعندما وجد دُرّة (لؤلؤة) كثيرة الثمن، مضي وباع كل ما له واشتراها» (مت ١٣: ٤٥ ـ ٤٦).

* فالدُرَة هي «**ملكوت السموات**». وقد أظهّر لنا الرب أنه غير ممكن أن ننالها إذا لم نترك كل شيء، ونعطيه القلب والحُب عِوضاً عنها.

(٩) والذي لنا – في هذا العالم – هو: إما غِنَيٌ، وإما مجد عالمي، أو فخر جنسي (إفتخار بالحسب والنسب) وبقية الأشياء الكريمة (المادية) من منظور الناس، وأهل هذا العالم:

* وقد عرَّفنا ربنا أننا لا يمكن أن ننال ملكوت السموات (المجد الأبدي) وقلبنا مُنقسم لها ولغيرها، وذلك بقوله: «لا يستطيع أحد أن يعبد ربين (سيدَّين) **ولا تستطيعوا أن تعبدوا الله والمال»** (مت ٦:٢٤).

(١٠) فلنختر الكنز السماوي الصالح، ونجعل قلوبنا عليه، لأن الرب قال: «حيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم» (لو ١٢:٣٤).

* وإن كانت لنا هنا قنية أرضية، **فسوف تبقي نفوسنا في هموم من أجلها**. ولن نُعاين الله، ولا نستحق الأمور السمائية، التي وعدنا الرب بها. هذه التي لا يمكن أن نقتنيها إلا بأن يكون - في ذواتنا - شوق عظيم لها.

* وهذا الشوق العظيم (للأبدية) لا يجتمع في النفس، مع شيء من تلك الاهتمامات الارضية

وهو الذي يقودنا إلي أن نسأل اللّه لكي يعطينا تلك الخيرات، ويصير التعب أمامنا خفيفاً،بسبب الرجاء في أمجاد السماء.

* وبالإجمال، ينبغي لنا أن ننعتق من عادات الناس، الذين يظنون - حسب رأيهم - أنها واجبة. وأن تنقلب قلوبنا، عن هذا العالم الفاني، إلي فضيلة السمائيين، ليمكنا أن نقول «إن مدينتنا في السموات». وأعظم من هذا تشبُّهنا باللّه، الذي تمسكّن (صار مسكيناً وفقيراً) من أجلنا، وهو الغَنيِ.

(١١) فإذا لم نصل إلي ذلك (الفكر والسلوك الروحي) لا نقدر أن نسير حسب وصية الإنجيل، لأنه كيف تكون قلوبنا مُنسحقة؟ وكيف نفلِت من الغضب والحُزن، والاهتمامات الأرضية، وآلامها المُهلِكة للنفس، مادُمنا نعيش في الغِنَي (المادي) وهموم الدنيا، والعادات الأولي (قبل التكريس).

(١٢) فالذي لم يُسمَح له بأن يهتم بالأمور الضرورية - أعني الطعام واللباس - فكيف يصح له أن يشتبك في الأشواك الخبيثة، التي هي الغِنيَ والشهوات، والهموم التي تخنق الزرع الصالح، الذي غرسه الله منذ البدء فينا، وتمنعه من أن يُثمِر؟!

* وقد قال ربنا يسوع المسيح: «هؤلاء الذين سقطوا بين الشوك هم المهتمون بما لهذا الدهر، وغوايات الغِنَي ولذات الجسد، فيختنقون ولا يعطون ثمراً» (مت ١٣: ٢٢).

✠ ✠ ✠

(١٥) هل يُترك المال المرفوض لأقرباء الجسد؟!

+ وسألوا القديس باسيليوس:

• «الساكن مع إخوة أسلموا ذواتهم للرب (رهبان مكرسين) هل يجوز له أن يترُك كل ماله لأقربائه

بالجسد ويرفضه؟! أو يوصيهم أن يعملوا (به) كإرادة الله؟!»٠فأجاب القديس وقال:

* لقد قال ربنا: «أمضِ وبع كل مالك، وأعطهِ للمساكين، وأكنز لك كنزاً في السماء، وتعال أتبعنّي» (مت ١٩:٢١)٠

+ وأنا أري الذي يخرج من عند أهله (للرهبنة) ويدخل إلي عبادة الله (التكريس الكامل) ينبغي له ألا يرفض أمواله علي هذه الصورة (يتركها لهم) لأنها صارت مُخصَصة للّه وحده وليس لغيره٠

+ بل يوزعها حسب إرادة الله، سواء بيده، أو بقومٍ أمناء، لكنه إن سلمّها لمن هو غير أمين ولا مُدبر (حكيم) لا ينجو من العقوبة. فكيف يتصرّف هكذا في مال صار مخصصاً للّه، إذا لم يحترس في أمره، وخاصة أنه مكتوب:

* «ملعون من يعمل عمل الرب بتهاون» (إر ٤٨:١٠).

* فلنتحفظ من كل جهة، لكل لا نوجد - من جهة قوانينا - أننا مخالفين لوصية، بسبب إتمام وصية أخري.

+ ولهذا أيضاً ينبغي لنا ألا نُخاصِم الذين يمنعون عنا شيئاً من مالنا، لأن عبد الرب له أن يتعزَّي بقول الرب:

* «ليس أحد يترك بيتاً أو حقلاً من أجلي... إلا ويأخذ مائة ضعف الآن، في هذا الزمان (بركات روحية عظيمة) وفي الدهر الآتي (يرث) الحياة الأبدية» (مر ١٠:٣٠).

+ وينبغي أن يُشبِّه الذي ظَلَمَه - ومَنَعَه ماله - بخطية «سارق الهيكل»، لأن الرب قال: «إذا أخطأ إليك أخوك امضِ وبكِّته» (لو ١٧:٣، مت ١٨:١٥).

+ **وأما اللجوء لمحاكم العالم، فالكتب المقدسة قد منعتنا من ذلك:-**

* «من أراد أحد يتحاكم (يتشاجر) معك - ويأخذ ثوبك - فاترك له رداءك» (مت ٥:٤٠).

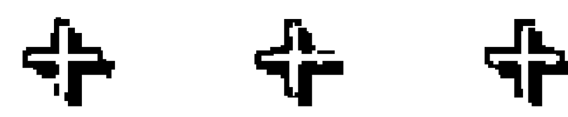
* «أيتجرأ واحد منكم - وله أمر مع صاحبه - أن يتحاكم معه (يقاضيه) عند الظالمين وليس عند القديسين»؟! (١ كو ٦:١).{في مجلس كنسي}.

+ وإن كنا قد عرفنا أن الذين يأخذون مالنا ظلماً، فهم مُطالَبون به. فينبغي أن نطلب منهم **عند القديسين**، لأنه يجب علينا أن نهتم بخلاص نفوسنا، وبخلاص أخوتنا، لأن ربنا عندما قال: «فإن سمع منك»... لم يقل: «**قد ربحت مالك**»، بل قال: «**قد ربحت أخاك**» (مت ١٨:١٥).

+ أما إن كان الذي ظلمنا هو الذي يقودنا إلى من يسمع كلامه مع كلامنا، فينبغي لك أن تتبعه، لتحقيق

الأمر، لا لنُدْميّي ألم الغضب، ولا محله في المال.

+ وبالإجمال، فلنجتهد في ألا نخرج عما أمرنا به (اللّه) من جهة من الجهات[1].



(١٦) شروط قبول الراهب الجديد

+ سألوا القديس باسيليوس:

- **« هل ينبغي لنا أن نقبل كل من يأتي إلينا ليصير راهباً؟!**

---

(١) من الأفضل لراغب الرهبنة أن يوزع أملاكه علي المساكين – قبل رهبنته – ولا ينسَي بالطبع كل أهله الفقراء، كما قال الوحي: «أليس أن تُكسِر للجائع خبزك... ولا تتغاضَي عن لحمك"(إش ٥٨:٧) «وإن كان أحد لا يعتني بخاصته ولاسيما أهل بيته، فقد أنكر الإيمان، وهو أشر من الكافر» (١ تي ٥:٨).وقام القديس أنطونيوس ببيع أملاكه، وأعطي جزءاً لأخته وتصدّق بالباقي، وترك القديس بولا كل ثروته لأخته، وزوجها الذي طمع فيها.

• «وهل نقبلهم عندما يأتون؟ أم نمتحنهم أولاً؟! وكيف يكون إمتحانهم؟!»

فأجاب القديس وقال:

+ إن الله – مُحب البشر – قال: «تعالوا إليَّ يا كل المُتعَبين والثقِيليّ الأحمَال وأنا أُريحكم» (مت ١١:٢٨)

+ فليس خطراً قليلاً أن نَرُد الذين يتقدمون إلي ربنا (للرهبنة) ويريدون أن يحملوا نيره الجميل، ووصاياه الخفيفة، وهي التي تَرفعنا بخفة إلي السموات.

+ ويجب أيضاً ألا نتركهم يدخلون – إلي هذه التلمذة – قبل أن يغسلوا أرجلهم، كتعليم ربنا (بداية التكريس بحياة نقية).

+ وقد سأل الرب الشاب عن سِيرته الأولي. فلما قام بتقييمها، أمره بأن يُكمِل ما يقودَه إلي الكمال، وبعد ذلك يتبعه (مت ١٩:٢١).

+ لذلك ينبغي لنا - عند تقدُّمهم (الرهبان الجُدد) إلينا، أن نستقصي بثبات عن سيرتهم الأولي (قبل الرهبنة) والذي يتم تقييمه تقييماً ما، نساعده بالتعليم (بعد قبوله كراهب مبتديء) لينمو إلي ماهو أعظم.

+ أما الذين أقبلوا راجعين من سيرة رديئة وعادات مُنحلّة، فينبغي أن يُفحَصوا (يُختَبروا) وقتاً طويلاً، لئلا يكونوا غير ثابتين، ومنقلبين إلي اللذة، لأنهم سريعو الإنقلاب، مما يسبب خسارة (عثرة) لآخرين.

* ولكن ينبغي ألا نقطع رجاءنا منهم، بل نُدخِلهم في أمتحان يليق بهم، فنُجرّبهم زماناً، في جهادات مُتعِبة، لنعرف همة قلوبهم. وإن وجدنا فيهم عملاً ثابتاً فلنُدخِلهم إلي المجمع، وإلا فلنرسلهم (لأهلهم) قبل دخولهم (رسامتهم) كي لا يخسر (يُعثَر) بسببهم الأخوة، أو غيرهم.

+ ومن جملة امتحانهم، ننظر هل يُقرُّون - من غير حياء - بخفايا أدناسهم، وأستعدادهم للابتعاد عن الذين كانوا يشاركونهم آثامهم، حتي أنهم يقولون كما هو مكتوب: «إبعدوا عني ياجميع فاعلي الأثم» (مز ٦:٨).

* وهؤلاء - قبل كل شيء - يجب أن يتحفظوا من السقوط مرة أخري في شرورهم السابقة(١).

+ والامتحان اللائق بكل الذين يدخلون إلي هذه السيرة (الرهبنة) وهو النظر: هل هم مُستعدون لكل أتضاع - بغير خجل - حتي أنهم يقبلون الصنائع (الأشغال) الحقيرة (بالدير) وأختار القادم أن يتشبّه باتضاع ربنا يسوع المسيح؟!

(١) يري الآباء ضرورة أن يكسر الخُطاة حلقات الخطية التي يُقيدهم بها إبليس، لسهولة التخلُّص من حروب الشرير وهي: «المكان + ظروف الخطية السابقة + الأشخاص المُعثرين». فينجوا من فخاخ الشياطين».

+ ويجب أن نُميزّ له الأمور المُحتقرَة عند أهل العالم والتي كان يرذلها، وأن نُتابعه إن كان راضي القلب بأن يقيم ذاته مثل فاعل لا يخزي.

+ والذين يمتحنونهم يجب أن يكونوا مُجَربين (خُبِراء).

* ومن يثبت أنه مستعد لكل عمل صالح، فليُحسَب مع الذين أسلموا ذواتهم للرب.

+ أما الذين هربوا إلي الأخوة (للدير) من تحت نير العبودية (من قسوة السادة علي عبيدهم) فيجب أن نعلمهم لكي يربحوا أنفسهم، تشبهاً بالقديس بولس، فإنه لما أقتني (العبد) أُنِسيموس وكسبه للمسيح، أرسله إلي سيده فليمون مرة أخري، وطيّب قلب سيده برسالة رقيقة، لكي يصفح عنه ويقبله كأخ حبيب في الإيمان (وهو ماحدث بالفعل).

+ وأما إذا كان سيد العبد (الهارب للدير) شريراً.

ويأمره بالقيام بأعمال غير مُرضِية، ويكلفه أن يخالف وصايا ربنا يسوع المسيح، فنبغي أن نجتهد كي لا يُفترَي علي إسم المسيح من أجل العبد، عندما يعمل شيئاً غير مُرضِي للّه.

+ ثم نُعلّم العبد (الهارب للدير) ألا يُخطِيء. وأن يحتمل كل تعب يأتي عليه (من سيده) وأن يقبله ويحتمل كل تجربة تأتي عليه من أجل المسيح، لأنه سوف ينال أجره من اللّه، لأنه أطاع الرب أكثر من الناس، كما هو مكتوب.

+ والذين يتقدمون إلي السيرة المقدسة (الرهبنة) وهم مرتبطون بالزيجة، فينبغي أن نتحقق منهم، هل صنعوا هذا (التكريس) **باتفاق مع نسائهم؟** لأن القديس بولس الرسول يقول «إن الرجل ليس له سلطان علي جسده، بل لزوجته» (١ كو ٧:١٢).

+ وبعد (سماع) الشهادات لهم نقبلهم (في الدير).
وإن عاد واحد من هؤلاء، ولم يهتم بما يُرضِي الله، فليذكر قول الرسول: «إن الله دعانا للصلح». وليُكمِّل حينئذٍ قول الرب: «إن من يأتي إليَّ، ولا يُبغِض أباه وأمه وزوجته وبنيه (تقل درجة محبتهم عن محبته الشديدة لله) لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً».

+ وجيد للذين يدخلون (للرهبنة) أن يتدرَّبوا علي الصمت والوحدة، وأن يسألوا المعلمين، وأن يعرفوا متي الصمت ومتي الكلام؟ (ضبط اللسان).

+ وبالسكوت ينسي الأعمال الأولي. وفي الخُلوة يتعلّم الأعمال الصالحة. وبالتالي يُلتزِم **الصمت مع عمل اليدين**. وإن سأله أحد فليُجب (باختصار) وليرتل دائماً للرب.

+ وإذا خرج واحد من الإخوة - من بعد دخوله إلي المجمع - وخالف اعترافه (نذر الرهبنة)، فليكن قُدامنا - من ذلك الوقت - كمن أخطأ إلي الله، فيما تعهد به، وقرره قُدامه. فقد قيل إذا أخطأ الإنسان فمن الذي يُصلي عليه (١ صم ٢:٢٥)؟!

+ وهذا قد صار سارقاً للهيكل، وسرق من اللّه ما حرّمه له، ونسبَه إليه، وصار هو لنفسه سارقاً.

+ وهؤلاء (الخارجون) ينبغي ألا نفتح لهم ليدخلوا عندنا - مرة أخري -لئلا يدخلوا للإخوة (الرهبان) بالخيالات (الأفكار) التي أقتنوها من خارج.

+ وقد أمر الرسول بولس أن يتم الابتعاد عن كل أخ يسلك بغير أدب، وألا نختلط معه،لكي يستجي (٢ تس ٣:١٤).

✣ ✣ ✣

(١٧) عن رهبنة صغار السن

- السيد المسيح قد أمر بقبول الأطفال.
- قبول الأيتام وغيرهم وتربيتهم في مخافة الله.
- الأسباب التي توجب أن تكون لهم مساكن خاصة.
- فوائد اجتماعهم في الصلوات النهارية مع الكبار.
- متي يتم قبول نذرهم للبتولية؟ وكيف يكون ذلك؟
- تسريح الذين لا يقدرون علي حياة البتولية.

+ وسألوا القديس باسيليوس:

- «مامقدار القامة (الروحية) التي ينبغي أن ننذر نفوسنا فيها للرب؟! » وفي أية سن يأتي إقرار البتولية»؟!

- فأجاب القديس:

+ إن ربنا يسوع المسيح يقول: «دعوا الصبيان (الأولاد) يأتون إليّ، ولا تمنعوهم» (مت ١٩:١٤).

+ والرسول بولس يمتدح الذي يتعلم الكُتب المقدسة منذ صباه (٢ تي ٣:١٥).

+ وأن يُربِي الآباء أولادهم (من الجنسين) بأدب ومخافة اللّه.

+ إذن في كل زمان (في أية سن) ينبغي أن نقبل الذين يأتون إلينا.

+ الأيتام من الوالدين نقبلهم، إن لم يسلمهم لنا أحد، لنصير مُتشبهين بالطوباوي أيوب.

+ والذين لهم آباء نقبلهم، إذا ما أتوا بهم إلينا[1] –

(١) أتي والدا القديس أنبا شنوده رئيس المتوحدين بإبنهما الطفل للدير وتركاه عند خاله الراهب القديس «بيجول» وهو لم يزل في التاسعة من عمره، وجيء بالقديس «تادرس» إلي القديس أنبا باخوميوس – أب الشركة – وهو لم يزل بعد في سن ١٥ سنة.

علي أيدي شهود كثيرين لنقطع افتراءات الأشرار في هذا المجال.

+ وينبغي ألا نقبلهم للوقت (فور مجيئهم للدير) في جملة رباط (مجتمع) الأخوة، ولكن نربيهم (نُعلمهم) كأولاد الأخوة.

+ ونميزّ مساكن الصبيان وأكلهم ونومهم وباقي معيشتهم (لوحدهم) لكي لا تكون لهم دالة عند الرجال (الرهبان)، بل يكونون إذا اجتمعوا بهم يستحون منهم.

+ ولكي لا يروا واحداً (من الرهبان) - لا سيما إن كان عظيماً (له مكانة روحية) - يتم توبيخه بسبب خطأٍ ما، ولكي لا يرونا نصنع مع الشيوخ (كبار الرهبان) ما ينبغي أن نصنع معهم، فيريدون - هم أيضاً - أن نصنع لهم كذلك، قبل الوقت (النمو الروحي للشاب).

+ ولكي لا يكون أنزعاج في بيت الناسك، لأن قراءة الأطفال تكون بصوت عالٍ.

+ أما بالنسبة للصلوات النهارية (بالأجبية) فليكن الصبيان مع الكبار (الرهبان) مُجتمعين فيها، ولكي يتعلموا من الكبار (الصلاة) وتكون معونة للصغار منهم.

+ ونُخصص لهم خادماً مُتقدماً في السن، ورجلاً فاضلاً مُجرباً (مُختبراً) طويل الروح (صبوراً) أكثر من الباقين، لكي - بحنان - يليق بالآباء مع الأبناء، وبكلام مناسب (حكيم) يُصلح خطأ من يُخطيء منهم.

+ فإذا وجد واحداً (من الأطفال) قد أخطأ مع أخيه، يُكلفه بخدمته كمقدار خسارة غضبه، **لأن فضيلة «التواضع» تقطع الغضب** من النفس، وتنزعه بتكرار ممارسة الاتضاع (مع المُسيء) بينما **«الكبرياء» تجلب الغضب**.

+ وإذا أكل أحدهم قبل الوقت (المُحدد) يُكلَّف ألا يذوق شيئاً، حتي يعبر الوقت المتعارف عليه. والذي يأكل بسرعة وبشَرَه (كثيراً) يُكلَّف وقت الأكل ألا يأكل، بل يتطلع إلي الذين يأكلون بأدب (بهدوء) ليتأدب بتعب ترك الأكل (الجوع) والنظر إلي المُتأدبين (المُتعلّمين النظام).

+ وإذا قال واحد منهم كلمة بطالة أو قبيحة أو نطق كذباً، فيُؤَدب بأمساك البطن (الصوم) واللسان (عدم الكلام أو الصمت فترة طويلة).

+ والذين يتعلمون الكتابة، ينبغي أن تُختار لهم نصوص من الكُتب المقدسة، عوضاً عن خرافات الفلسفة الخارجية (الوثنية).

+ وليتعلّم كل واحد الصناعة (الحرفة) التي تليق به، عندما يقدر أن يتعلّم. ويُقيمون في النهار عند مُعلّمهم، وفي الليل يعودون إلي حيث

رفقتهم، لينالوا طعاماً (عشاءً) ثم يرقدون في فراشهم.

+ وليتعلموا - منذ صغرهم - ألا يشغلوا أفكارهم في الذات، بل يرفعوها (من أذهانهم) ويتدرّبوا علي (قراءة) السيرة المستقيمة (منذ الصغر).

+ والمُرتبّون (المشرفون عليهم) يتقصون منهم عن أفكارهم، فإنهم يظهرون ضمائرهم (قصدهم الحقيقي) لأنهم بسذاجة صبوتهم (بساطتهم) وقلة مكرهم، لا يتعمقون في الحِيَل (الخداع) والكذب.

+ ويسهُل عليهم أيضاً مفارقتهم للأمر الرديء، لأنهم يخافون الفضيحة، ولأن الشر لم يتمكن بعد في نفوسهم، للين طباعهم، كالنقش علي الشمع، وهو ما يُيسّر أيضاً إنطباع الأشياء (التعاليم السليمة) في ذواتهم.

+ فينبغي أن يتعلّموا - ماداموا أطفالاً - أنواع الأعمال الصالحة، ليسيروا في الجهاد في الفضيلة دائماً، وتنمو فيهم، بنموهم بأستمرار وبدون مشقة كبيرة.

+ وبعد ذلك يكون قبول اعتراف بتوليتهم - بشهادة الآباء - بأنهم يحفظون أجسادهم طاهرة، ومن لا يقدر السير في البتولية فليُسرَّح (من الدير).

+ ويجب أن يُترك الوقت لكي يمتحن نفسه أياماً أخري، حتي لا يظن إننا قد أختطفناه (أكرهناه علي التكريس)، وبعد ذلك كله، نقبله مع الإخوة، ليسكن معهم، ويعيش معيشتهم.

- **وسئل القديس باسيليوس: «هل النسك ضروري للتكريس»؟!**

+ فأجاب وقال: «إن أعمال النُسك ضرورية، كما أكده الرسول بولس بتطبيقه عملياً وقال: «بالأتعاب، بسهر الليل، بصوم، بطهارة».

* وقال أيضاً: «بتعب وألم، بسهر دفعات كثيرة، بجوع وعطش بصوم كثير» (٢ كو ٦:٥، ١١:٢٧).

* وأيضاً قوله: إني أقمع جسدي، وأجعله لي عبداً» (١ كو ٩:٢٧).

+ وأشار الرسول بولس إلي ضرر عدم الصوم (كأحد وسائل النُسك) وقال:

* «في آخر الآيام تكون أزمنة صعبة، ويكون الناس مُحبين لشهواتهم... الخ» وقد باع «عيسو» بكوريته بأكلة واحدة (تك ٢٥:٣٤) وكانت أول معصية للإنسان (الأول) هي من عدم الصوم (الأكل من الشجرة المُحرَّمة).

+ والفضيلة لا تنمو في النفس إلا بالنُسك، لأنه يمنع غليان الشباب (ثورة جسد المراهق) وحركات اللذة الصعب ضبطها.

+ فإن كثرة الأكل لا تنفع الجاهل (روحياً) كما قال سليمان الحكيم.

* وقال بولس الرسول «لا تهتموا لأجسادكم بشهوات» (رو ١٣:١٤)٠

* وقال أيضاً: «إن المرأة المتنعمة (بالطعام والشراب...الخ) فقد ماتت وهي حية» (١ تي ٥:٩)٠

* ومن قصة الغني ولعازر، نتعلَّم أن النُسك ضروري، وإلا سوف نسمع ما قيل له: «إنك قد أستوفيت (أخذت) خيراتك (المُتع الجسدية) في حياتك» (لو ١٦:٢٥)٠

+ وجميع القديسين الذين مارسوا النُسك استفادوا منه. والأمثلة علي ذلك كثيرة:-

* **فموسي النبي**: بصبره علي الصوم - والصلاة بلا فتور - علي جبل سيناء، أخذ الشريعة، وسمع كلام اللّه، كما يتكلّم الإنسان مع صاحبه!!.

* **ودانيال النبي:** تّمتع برؤيا روحية، بعدما صام ٢١ يوماً.

* **وأصحابه الثلاثة فتية:** أطفأوا قوة النار بالنُسك.

* **وعاش يوحنا المعمدان:** بسيرة عظيمة بالنُسك في البرية.

* **وربنا يسوع المسيح:** أظهر بالنُسك في صومه، وفي ممارساته النُسكّية الأخري.

+ ولسُت أعني بالنُسك ترك الطعام تماماً، لأنه يُتعب الناسك. وإنما أعني ترك المآكل التي تجلب لنا اللذة (الشهوة من اللحوم والشحوم)، لكي نهدم رغبة الجسد بالجهاد.

+ والقانون المقرر في هذا المجال، هو تناول الخُبز والماء، وكل ما لا يقوم الجسد بدونه (كالخضروات

مثلاً)، وأما ما يجلب الشهوة واللذة، فالنُسك بالضرورة يُبعده.

+ **والناسك**: لا يحرم البطن فقط (من كل ما لذ وطاب من الطعام والشراب)، وإنما أيضاً **لا يدع المجد الباطل** (الافتخار بممارساته النُسكّية، وتقبلّ مديح الناس له عنها) يتسلَّط عليه. ولا يقهر الشهوات القبيحة، بينما يترك محبة المال تملكه (شهوة محبة المال).

+ ولا يسمح أن يخضع لشيء من الآلام (أن تُثيره) مثل: الغضب، والبُغضاء (الكراهية) والحسد والكبرياء والشَرَه (الجشع في الأكل) والرياء (والنفاق)، وباقي الشرور، لأن الوصايا (أو الفضائل) مرتبطة بعضها بالبعض الآخر.

+ فمن يتنسَّك (يزهد) عن المجد الباطل (محبة مديح الناس) **فهو متضع**.

+ ومن يتنّسك عن محبة المال، فقد نفّذ شروط الزُهد بالكمال.

+ ومن يتنسَّك عن الغضب، فهو **إنسان وديع**[1].

+ والكامل في بالنُسك يضبط فمه وعينيه وأذنيه، ولا يقبل كلاماً باطلاً.

+ والضحك (السُخرية أو التهكُّم) الذي يحتقر به الإنسان الناس، ينبغي لمن يتنسَّك أن يتحفَّظ منه كثيراً، لأنه علامة إنحلال النفس (عدم نمو الحياة الروحية)، والإقلاع عنه (تركْه) يكون بالتدرُّب علي **مخافة الله** (رقابة الرب علي كل الأفعال، والأقوال والأفكار في القلب).

---

(١) الشخص الوديع حقاً هو الذي يُنسب الخطأ إلي نفسه وليس لغيره (هو الذي أثار الغاضب منه) وهو حنون، وشفوق علي كل من يُسيء إليه، إذ يعتبر نفسه هو سبب غضبه منه. وأنه مريض بالروح، ويحتاج لعلاج لا عقاب، ولا حتي عتاب، كما كان يفعل الرب يسوع الوديع القلب.

+ ومخافة الله تظهر في النفس الحكيمة، عندما تبتسم بوداعة (وبصمت)، فيظهر المكتوب فيه أنه: «إذا فرح القلب أبتهج الوجه» (أم ١٥:١٣).

+ وأما من يُقهقه (يضحك بصوت مرتفع) فهو ليس ضابط لنفسه، وليست نفسه هادئة، وهو جاهل (روحياً) كما قال الحكيم يشوع بن سيراخ:

* «إن الجاهل يرفع صوته بالضحك، والحكيم بالحري يبتسم» (سي ٢١:٢٣).

+ ولكونه يُخرج النفس عن هدوئها، أبعده الحكيم سليمان عن نفسه وقال:

* «قلتُ للضحك أنتقل خارجاً» (جا ٢:٢).

* «مثل صوت أخشاب السنط الموقدة تحت الخلّقين (= الوعاء) كذلك الضحك للجاهل» (جا ٧:٦).

+ وقد دعا السيد المسيح للرحمة (بالخطاة) والرأفة

بالمُتضايقين، والحزن والبكاء (علي الخطايا). وأما الضـحك، فلم يُكتب عنه في الإنجيل أنـه قَـبِلَه (فعله) بل «أعطي الويل للضاحكين» (لو ٦:٢٥).

+ ومن معاني الكتاب الإشارة أحياناً إلي «الضحك» علي أنه **ابتهاج النفس بالخيرات**، كما قيل:

* قـالت سـارة: «إن الله صنع لي ضـحكاً» (تك ٢١:٦).

* وقـال الرب يسـوع: «طوباهـم البـاكون الآن (علي خطاياهم)، لأهـم سيـضـحكون» (لو ٦:٢١) أي سيفرحون في الأبدية.

* وقـال أيوب الصـدّيق «إنه يملأ أفـواه الصـدّيقين ضحكاً» (أي ٨:٢١).

+ فمن هذا كله، نري أن ذلك إشـارة لفرح النفس بخيراتها، لا عن الضحك الجُسماني.

+ وقد تكون هناك أعمال أخري، ليست فيها خطية، ومسموح بها لأجل حياتنا، ومع ذلك يجب أن نزهد فيها، إذ كان ذلك من أجل ربح الإخوة، كما فعله الرسول بولس وقال:

* «إنه كان له السُلطان أن يعيش من (دخل) التبشير، ولم يستعمله «لئلا يُعِثِر (يُعطّل) بشارة المسيح بشيء» (١كو ٩:١٢)٠

+ والنُسك يقلع شهوة اللذة، التي تخدع النفس، مثل «صنارة» الصياد، وبها نسقط في الخطية، وننساق للموت (للهلاك).

+ وحتي الطعام الذي قنعنا به، والذي هو ضروري لحياة الجسد، **فلنهرب من امتلاء البطن منه.** فالذي مات مع المسيح، هو الناسك (الزاهد) بالحقيقة.

+ والنُسك هو أساس النجاح (النمو الروحي)

ويساعدنا علي انتاج الثمار (الأعمال) الصالحة، ويُقلِع الأشواك المُعوِّقة لنموها، كما قال الرب.

+ والنُسك أيضاً تخافه الشياطين وتهرب منه، كما قال الرب:

* «إن هذا الجنس، لا يخرج إلا بالصوم والصلاة» (مت ١٧:٢١).

✢ ✢ ✢

(١٨) عن أختلاط الرهبان بالراهبات

● سُئل القديس باسيليوس: «كيف يجب أن يجتمع الأخوة (الرهبان) بالراهبات؟!

+ فأجاب القديس باسيليوس وقال:

* هذا اللقاء يكون بمخافة الله، وإذا دعت إليه الحاجة، وللمساعدة كوصية الرب، ليس كما يريد الإنسان، بل كما يريده الله.

+ ولا يجب أن يكون اللقــاء، في كل وقت، وفـي كل مكان، حتي لا يكون هناك عثرة للغير.

+ وأن يتم الاجـتـمـا ع لضـرورة (مـادية أو روحـيـة)، وبعد التـأكد من الحـاجـة إليه، وأن يكون مع كبار السن، الذين أشتهروا بالهدوء والعفاف، والحكمة في الكلام.

+ ولا يكون الرجال أقل من إثنين وكذلك النساء (تث ١٥:١٩) لقطع كل شك. وليكن الشيوخ والعجائز هم الوسطاء للباقين، فيما يريد أن يقوله البعض لغيرهم.

+ وأنْ يُخـصـص من يخـدم الراهبـات لقـضـــاء طلباتهن، ويكونون متقدّمين في السن (شيوخاً) فقد قيل: «لماذا تُدان نيتي من آخرين»؟!



(١٩) عن الدياكونيين (الشمامسة) والذين يخدمون الأخوة ويعطون كل واحد (راهب) حسب طقسه (المقرر له) (أع ٢: ٤٦، ٤: ٣٥)

• **من صفات الشمامسة:**

+ أن يكونوا رُحماء، طويلّي الروح (صبورين) علي كل أحد.

+ لا يأخذون بالوجوه (المُحابَاة) {يع ٢: ١، ٩} أو يميلون إلي قوم بمحبة جسدانية (عدم التمييز بين الأخوة).

+ وأن يكونوا بعيدين عن الحِرَان (الخصام والنزاع) وهو ما نهي عنه الرسول بولس:

* «إن كان أحد يريد أن يحرن، فليس لنا نحن عادة (المقاطعة) مثل هكذا» (١ كو ١١: ٦) وعدم إعطاء احتياجات البعض.

+ ولا يعطون بزيادة عما يحتاج البعض (علي

حساب غيرهم). وهو يدل علي محبة جسدية (للبعض).

+ وبهذين الأمرين (التفريط والأفراط) تحدث الفُرْقة (الانقسام) والشك (العثرة) والمقاومة (الثورة)، وتُبطِل من الأخوة الأعمال الصالحة، التي كانت لهم وهم قلب واحد.

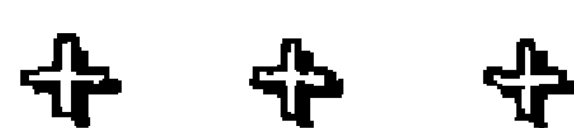
+ فينبغي أن يخدموا الإخوة بمحبة كبيرة، حتي لا تلومهم ضمائرهم فيما تهاونوا فيه، بل عليهم أن يُظهِروا كل اجتهاد، أنهم يخدمون الرب لا الناس، هذا الذي بكثرة صلاحه يقبل الاجتهاد الذي يعمل مع عبيد اللّه، كأنه قد عُمِل معه (مت ٢٥:٤٠).

+ وليتذكُّروا قول الرب: «ملعون كل من يعمل عمل الرب بتوانٍ» (إر ٤٨:١٠)، فلا يكسلون في

جـهـادهـم (خـدمـتـهـم للآخـرين)، لأن الذين لا يخدمون باجتهاد (بأمانة) لن يخرجهم اللّه من ملكوته فـحـسب، بل يرسلهم أيضـاً إلي النار الأبدية.

+ ويجب علـي الخـادمين والمخـدومين - وكل المسيحيين - أن نضع أمامنا إرادة اللّه (مر ٣:٢٥). فإن كنا **معافين** (في صحة) أظهرنا عمل المحبة بنشاط، وإن كنا مرضي (بالروح) أظهرنا (لغيرنا) طول الروح بفرح، لأن (للإحتمال) أُجرَة (٢ كو ٦:١).

+ وقال الرسول بولس: «أطلب إليكم - أنا الأسير في الرب - أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتّم اليها...الخ» (أف ٤: ١ - ٥).



(٢٠) تجنب كثرة مجامع الرهبان في مكان واحد

+ الأخوة المُجتمعون معاً، كأعضاء الجسد الواحد، في لزومها وتضامنها.

• مضار وجود مجامع كثيرة في مكان واحد:

+ حـــدوث تنافس ونزاع، يوثر علي الزائرين (يُعثرهم) وعلي المُتقدمين للرهبنة.

+ من فوائد وحدة هذه المجامع، من جهة تسهيل الأدوات والمُعدّات، وتقليل عدد الذاهبين للمدن لقضاء حاجيات الأخوة، وما يسببه ذلك من عثرة للعلمانيين (وللرهبان).

+ وأن المجتمع الواحد، يجب أن يهتم بالآخرين، لتكميل المحبة.

+ يؤدي التفرُّق إلي عدم ثبات الإخوة، وتنقلّهِم من مجمع لآخر.

• وسُئِل القديس باسيليوس أيضاً: «هل ينبغي أن تكون هناك مجامع كثيرة حول مدينة واحدة»؟!

+ من الصعب أن يُكتفَي بمجمع واحد في موضع به كثير من الرهبان.

+ ويجب أن الذي يصير رئيساً للمجمع أن يكون **حكيماً ومُدقِقاً، ينفذ قبل أن يطلب التنفيذ،** ومُتكلماً بمقدار الحاجة، بغير نقص.

+ وأن يكون مُتّيقظ القلب (واعٍ)، رؤوفاً، مُنفذاً أحكام الله (مُطيعاً لوصاياه بحب).

+ وإذا لم يوجد واحد فيه هذه الصفات كلها، وأمثالها، ويوجد إثنان أو ثلاثة، تجتمع فيهم هذه الصفات، فجيِّد أن يشتركوا في هذا النشاط الواحد، وليحمل بعضهم أثقال بعض.

+ وإذا حدث ما يوجب انفصال الرئيس عن الإخوة،

إما للتوحد (في البرية) أو لعمل آخر ضروري، فيوجد (يُختار) آخر عوضاً عنه.

+ وإذا كانت المجامع قريبة من بعضها، يبتديء أخوة كل مجمع أن يجاهدوا مع المجامع الأخري في عمل الخير. وليس في إنقسام الأفكار، حتي لا يُحزِنوا الغُرَباء.

* وأيضاً يحتار الذين يريدون الرهبنة، إذ لا يعرفون إلي أي مجمع ينضمون، ليهتموا بخلاصهم فيه. وعِوضاً من أن يتتلمذوا علي يد الأخوة، يصيرون مُمتحنِين لهم (يدينونهم).

+ ولهذا لا يلزم أن تكون هناك مجامع كثيرة في موقع واحد، وأن يَطيب قلب البعض ليدخلوا تحت نير (إدارة) البعض، إذ يمكن أن يكون هناك مصباح واحد، وموقد واحد للكل (في نفس الموضع).

+ كما أن كثرة المجامع تحتاج لخروج كثيرين لقضاء حاجات كل مجمع، وليس كل واحد كُفّوءاً للغُربة (التواجد في العالم)، فقد يُعثِرون أنفسهم أو غيرهم من العلمانيين.

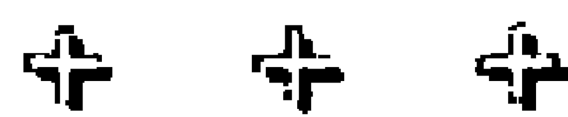
* ويقول الرسول بولس «كملُوا فرحي أن تكونوا فكراً واحداً، ولكم هذه المحبة الواحدة... الخ» (فيلبي ٢: ٢ ـ ٤).

+ ويجب أن يتشبّهوا بالقديسين: «الذين آمنوا كان لهم كل ما لهم مُشتركاً» (أع ٣:٢٢) مع أن عددهم كان يزيد عن الخمسة آلاف.

+ ولا يجب أن ينتقل أحد الأخوة لأجل خسارة (روحية) دون أن يوضح سبب ترك هذا المجمع، كما علّمنا الرب:

* «إذا أخطأ إليك أخوك، اذهب وعاتبه بينك وبينه» (لو ١٧:٣).

+ وإذا أتضح أن الذي يريد أن يفارق المجمع، لعدم حكمته أو قلة ثباته، فليثبت في مكانه، ويُعالَج ضعفه. وإن رفض، فلا تقبله بقية المجامع (في المنطقة).



(٢١) هل تُعطِل الصلاة العمل؟!»

• سُئِل القديس باسيليوس هذا السؤال فأجاب القديس هكذا:

+ عبادة اللّه ليست محبة للكسب (المادي) أو للهرب من التعب(١).

---

(١) بجانب ذلك كله فالعمل يشغل الفراغ الطويل، ويُبطِل أو يُقلِل حروب الفكر، ويُبعد الملل والضجر (الزَهق). وقال الآباء «إن من يعمل يحاربه شيطان واحد، ومن لا يعمل تحاربه عدة شياطين» (أفكار كثيرة) ويقول المَثَل العامي الشائع: «إن مُخْ الكسلان هو معمل للشيطان» وهي مقولة صدق وحق.

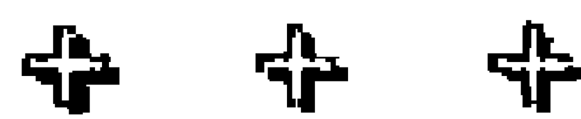
+ بالعمل (اليدوي) نقمع الجسد (بالتعب البدني) ونساعد المُحتاجين (من دخله).

+ قال الرسول بولس: «الذي لا يعمل لا يأكل» (٢ تس ٣: ١٠).

+ وخبز الكسل مذموم (عدم الأكل علي حساب تعب الغير).

+ يمكن للإنسان أن يعمل بيديه، بينما يُتحرّك قلبه – ولسانه – بالتسبيح والترتيل والشُكر.

+ ترك العمل (اليدوي) في أوقات صلوات الساعات (صلوات الأجبية) لاجتماع الأخوة فيها معاً للصلاة.



• **وسُئِل القديس أيضاً «هل ينبغي التواني عن عمل اليد، من أجل الصلاة؟!» وأي الأوقات التي يليق فيها العمل؟ وهل العمل أفضل؟!.**

فأجاب القديس باسيليوس وقال:

* «إن ربنا يسوع يقول: «إن الأجير (الفاعل) مستحق طعامه {أُجرته}» (مت ١٠:١٠).

+ ويأمرنا الرسول بولس بأن نتعب، ونعمل بأيدينا، لكي نجد ما نعطيه للمحتاج (أع ٢٠:٣٥).

+ فيجب عدم التفكير في أن عبادة الله، صارت لنا حجة (ذريعة) للكسل، أو سبباً لكي نتهرّب من التعب، بل نقول مع الرسول: «بأتعاب وآلام وسهر ليالٍ، وجوع وعطش... الخ» (٢ كو ١١:٢٧).

+ والعمل (اليدوي) نافع، ليس فقط لمجرد قمع الجسد، (بإرهاقه بالعمل اليدوي)، بل أيضاً لإظهار محبتا لرفيقنا (المُحتاج) كما قال بولس الرسول:

* «ينبغي لكم أن تتعبوا وتحملوا ثقل المرضي» (أع ٢٠:٣٥).

* «وليكون لكم ما تُعطون المحتاج، لكي تستحقوا – أنتم أيضاً– أن تسمعوا صوت الرب القائل: «تعالوا يا مُبارَكي أبي رثوا الملكوت المُعدّ لكم، لإني جُعت فأطعمتموني، عطشتُ فسقيتموني...الخ» (مت ٢٥).

* وقول بولس الرسول أيضاً: «من لا يُريد أن يعمل فلا يُطعَم (يأكل)...» (٢ تي ٣:١٠).

+ وبما أنه من الضروري أن يأكل الإنسان،كل يوم؛ لذلك يلزمه أن يعمل كل يوم لقُوتِه. وقد قال الرسول بولس:

* «إننا لم نأكل خبزاً مجاناً من أحد، بل بتعب وألم نعمل (في صناعة الخيام) الليل والنهار» (٢ تس ٨:٣) مع أنه كان له سلطان أن يعيش من (مال) الكرازة بالمسيح.

+ وقرن الرب يسوع له المجد **الخُبث بالكسل**، إذ

قال «العبد الخبيث (المكار) الكسلان» (مت ٢٥:٢٦).

+ وامتدح سليمان الحكيم العمل، ووبخ الكسل، وأعلن أن أصغر الحشرات أفضل منه في العمل، وقال: «أذهب إلي النملة أيها الكسلان...الخ» (أم ٦:٦).

+ وسيُطالبنا اللّه - يوم الدين - عن عمل أيدينا، بمقدار القوة التي أعطانا إياها، لأن من أستوُدِع كثيراً، يُطالَب بكثير، كما هو مكتوب (لو ١٢:٤٨). وهذا ظاهر من الذي أُوتمِن علي الوزنة الواحدة، والذي سُمِّي بالعبد الشرير الكسلان (لأنه لم يستثمرها[١]).

---

(١) الوزنات الخمس، التي يعطيها اللّه هي: الصحة والمال والعيال والعمل والخدمة الروحية، واستثمار المرء كل منها بحكمة، له بركاته، في دنياه وسماه.

+ والعمل له أوقاته، والصلاة والأبصلمودية (التسبيح) لها أوقاتها، كما يقول سليمان الحكيم (جا ٣:١) وينبغي أن يُحَرِك الإنسان يديه في العمل، ويُحرِّك لسانه بالترتيل، إن أمكنه فعل ذلك.

+ كما يجب تخصيص وقت للقراءة، لأنها تنفعنا جداً، لأنها تساعد علي بُنيَّان الأمانة (الإيمان + النمو في الفضائل والتهذُّب بأقوال الآباء).

+ وإن لم نتمكَّن من العمل هكذا بلساننا (بصوت مرتفع)، فلنُبارِك الرب (نشكره) بقلوبنا، بتسابيح روحانية (أف ٥:١٩) أي صلوات سرية.

+ وهكذا نصلي مع عمل اليد، ثم نشكر الله الذي قوَّانا، لنعمل بأيدينا، وأعطانا حكمة في قلوبنا أن نعرف الصناعات (الحِرفَية) وفهماً في عقولنا،

أن نُسبّحه ونشكره، وأنعم علينا بالحاجات (الماديات) التي نأخذها من صناعاتنا (اليدوية) وبآلات العمل ومواده (الخام) المستخدمة. وحينئذٍ تكون أعمال أيدينا مستقيمة، كمرضّاة الله.

+ وإذا لم نتمم الصلاة والعمل معاً. فكيف نقدر أن نُكمِّل قول الرسول بولس: «صلّوا بغير فتور» (١تس ٥:١٧) مع قوله «نحن نعمل بالليل والنهار» (٢ تي ٢:٨) وقد أمرنا أيضاً أن نشكر، في كل حال، لأن هذا لازم لنا»؟!

+ وينبغي ألاَّ يقول أحد: «إذا كان الأمر هكذا، يعني أن **نصلي دائماً**، فنحن نترك صلاة المجمع المحددة في الساعة (الأجبية)، لأنه يجب أن نُكمِل ذاك وهذا.

+ وأما ذاك فهو ربح النُسك، وأتصال الروح بالله،

وأما أوقات الغدوات، فهي في ذلك الوقت، لكي تكون حركات نفوسنا وأجسادنا في أوقاتها المحددة.

+ وإعطاء البكور للّه (في الوقت)، كما هو مكتوب «إن عينيّ قد سبقتا وقت الأسحار (الفجر). وأنا أتلو في كلامك» (مز ١١٨). ولئلا ندع هماً يدخل إلي قلوبنا، قبل أن نُمجّد اللّه، وننعم بذكره(١).

+ كما قال المرنم: «ذكرتُ الله وفرحت» ولكي لا نعمل بأيدينا وحدنا شيئاً، قبل أن نبسط أيدينا إلي اللّه، ونسجد للّه.

---

(١) أي ضرورة إعطاء أولوية للصلاة والعبادة، قبل بدء عمل اليوم، كما قال داود النبي: «يا إلهي إليك أبكرٌ، عطشت نفسي إليك...». ولا نترك الصلاة لبعد العمل، حيث يكون الجسد قد تعب، ولا يقدر علي الوقوف طويلاً في الصلاة، والميل للنوم أو النُعَاس.

+ وفي وقت الساعة الثالثة (٩ صباحاً) نجتمع للصلاة مع الأخوة، وإن كان البعض موزعين في خدمات، فليجتمعوا معاً (للصلاة بالأجبية) مُتذكرين جميعاً موهبة الروح القدس، الذي حل علي التلاميذ، يوم الخمسين، في وقت الساعة الثالثة. ونسجد له جميعاً. ونسأله أن يحل روحه قدسه فينا (يملأنا بثماره) ويُعلّمنا ما فيه منفعتنا، ومن بعد هذا نعود للعمل في أعمالنا (اليدوية).

+ وإن حدث أن يكون أخوة بعيدين عن المجمع، لأجل (إنجاز) أعمال ضرورية، ولا يقدرون علي الاجتماع (مع باقي الأخوة) فليكملوا هم أيضاً – في المواقع التي هم فيها – القوانين الموضوعة (الصلوات في أوقاتها) ولا يكونوا ذوي قلبين، لأن الرب قال:

* «حيثما أجتمع إثنان – أو ثلاثة – بإسمي، فأنا أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠).

+ **ووقت الساعة السادسة** (١٢ ظهراً) يلزمنا الصلاة كالقديسين (الرسل المصلين في الهيكل).

+ وقول المرنم: «عشية وباكر ووقت الظهر، أقول وتسمع صوتي» (مز ٤٤:١٧).

+ ولكي نخلص من العثرة «ومن شيطان الظهيرة» (مز ٩٠:٦).

+ وينبغي أن يُقال هذا المزمور - في هذا الوقت - ونتذكر صلب المسيح.

+ ونصلي في وقت الساعة التاسعة (٣ عصراً) كما فعل الرسل (أع ٣:١). وهو وقت تسليم الرب يسوع روحه للآب.

+ وفي آخر النهار، ومن أجل الأعمال التي قمنا بها. ولنسأل رحمته، عمّا فعلناه من سقطات، ليغفرها لنا، سواء التي فعلناها بمعرفة أو بدون معرفة، أو بالقلب أو باللسان أو بالفكر أو بالفعل،

ولأنه جيد أن نتذّكر أخطاءنا، لكي لا نسقط فيها بعينها، مرة أخري.

+ وقال داود النبي: «الذي تقولونه في قلوبكم أندموا عليه في مضاجعكم» (مز ٤).

+ **وأول الليل** (عند النوم) نسأل الله أن يحفظنا فيه، وأن تكون راحة النوم لنا، بلا عثرة، وأن نخلُص من خيالات الشياطين.

+ **وفي نصف الليل**: نصلي كما فعل بولس وسيلا (أع ١٦:٢٥) وكما قال المرنم:

* «في نصف الليل كُنت أستيقظ، لأُسبِّح علي أحكام عدلك» (مز ١١٨).

+ وينبغي أن نبكر قبل النور (الفجر) ونقف للصلاة، لكي لا يلحقنا الشر، عندما نرقد علي فراشنا، كما قال المرنم:

* «سبَقَت عيناي وقت الصبح، وأنا أتلو كلامك» (مز١١٨).

(٢٢) ماهي القوانين والصفات للعمل اليدوي للرهبان؟!

• كيف نحلّ مشكلة الدوران والغربة، خلال البيع والشراء؟

• الراهب الذي يذهب لبيع عمل يده: كيف يسير؟ والي أين يمضي؟ ومع مَنْ يتعامل؟ وكيف؟!

• هل يختار الراهب عمل يده؟ وهل يعمل بنفس حرفته (السابقة) في العالم؟!

• ماذا يُقال عن الذي يختار عمل يده بنفسه، حسب شهوته؟ (رغبته).

• علي أي شيء يدل التنقُّل من صناعة (حرفة) إلي أخري؟

• هل يملك الراهب آلات (أدوات) عمله؟ أو أُجرته؟

• وماهي الصناعات (الحِرَف) التي تليق بالرهبان؟

+ وقد أجاب القديس باسيليوس وقال:

+ « إن تحديد الصناعات صعب، لأن كل واحد يطلب أن يعمل مايُلائِمه (خبراته السابقة) وبحسب احتياجه ومكانه.

+ وأن نختار الأعمال التي نعملها بدون قلق، وبلا عثرة للغير. ولا نهتم فيها بزيادة عما نحتاج إليه. وعدم الحُزن لنقص ثمن أو أجرة، وألا تكون سبباً لإجتماع الرهبان بالنساء، وبالرجال أيضاً فيما لا ينبغي عمَله، ولا نهتم أكثر من اللازم، في الشكل.

+ فإن صنعنا ثياباً فلتكن كالنوع الذي لابُد منه في نوع الملبس (العادي) فلا تكون غالية ولا مُزوَّقة، حتي لا تكون عثرة للجُهلاء روحياً.

+ وكذلك صناعة الجلود والبناء والنجارة والحدادة وبقية الحِرَف، لا نعمل منها إلا ما لابُد منه (الضروري) لننفع الناس في احتياجاتهم

الضرورية، وهو اللائق بالراهب. فلا نميل إلي مدح الناس، فإن هذا مجد باطل.

+ وإذا حدث قلق من جراء هذه الصناعات، وعثرة تعمل علي تفريق الإخوة، أو إبتعادهم عن المجمع، لأجل من يُرغَم علي عمل هذه المصنوعات، فلا يجب أن نعملها. وأن نعمل ما يحفظ حياتنا بغير قلق، ويوجِب القيام أولاً بالعمل للرب (العبادة قبل العمل اليدوي) ويكمِّل خدمة الله حسب القانون، في الصلاة والأبصلمودية (التسبحة).

+ وإن لم تكن لسيرتنا خسارة (روحية) في الصناعات السابقة، فلنشتغل. ولنتخلّص من الدوران (اللف) في الغُربَة (في أسواق العالم) للشراء والبيع. وإذا لم تكن لنا خسارة (عثرة) من القريبين منا، فلا ينبغي أن نمضي إلي بعيد، وإن لم نتمكن، فلا يجب أن نبقي طويلاً في وسط

الجموع (بالأسواق) لأجل حجة البيع، لأن الثبات في موقع واحد يليق بالراهب.

+ وجيد أن نختار الأقل (في الكم) ولا نمضي إلي العالم خلف الأكثر، فنبتعد طويلاً عن قلالينا. وعند البيع نختار مكاناً يكون فيه أُناس يعرفون الله، ليكون ربح لنا ولهم، باجتماعنا بهم.

+ وأن نسير مع الأخوة (الرهبان) ونُكمِّل الطريق بالمزامير والصلوات وبُنيان النفوس. وإذا ما وصلنا إلي الموقع الذي نقصده، فلنقُم أيضاً في موقع واحد معاً، لكي نحفظ بعضنا بعضاً، وحتي لا تفوتنا الصلاة في أوقاتها الليلية والنهارية.

+ وبالنسبة للقوم الذين يميلون للجدال في البيع والشراء، فليُساومهم الأخوة بسهولة، لأن الظالمين

لا يحبون أن يرشدهم أحد عن أسلوب ظلمهم، أو يشهد عليهم، لأنهم يتضايقون من التبكيت.

+ ولا يُسمح بأن يُباع ويشتري في كنائس الشهداء (في تذكاراتهم التي يدعوها العامة «الموالد»)، وهو أمر غريب، ولا ينبغي أن يمضي أحد من المسيحيين إلي كنائس الشهداء (في الموالد) من أجل شيء، غير الصلاة فيها،وسماع العظات، لتذكُّر الأتعاب التي قاساها الشهداء، وهم صابرون حتي الموت، ولكي نكون في غيرة مقدسة (حماسة) مثلهم.

+ وننجو من غضب الرب، الذي أظهره علي الذين يبيعون ويشترون حول الهيكل، إذ أنه كَرِه التجارة في بيت الرب، وطرد الذين يبيعون ويشترون فيه، مع ما أظهره من الوداعة وطول الروح دائماً، في كل شيء.

+ وينبغي أن يختار كل واحد **الصناعة** (الحِرفَة) **التي يريدها**، أو العمل الذي تعلّمه في العالم (قبل الرهبنة)، والذي يليق بكل واحد، وحسب رأي الرئيس، لأنه رفض نفسه وترك رغباته من أجل اللّه، ولأنه أسلم ذاته لقيادته، حتي يدبر أمره في كل شيء (روحي + مادي).

+ والذي يختار لنفسه كشهوته (لعمل مُعيّن) فهو يقصد مجد العالم أو ربح الفضة (المال). أو من أجل الكسل والتهاون، يختار له شُغلاً خفيفاً سهلاً. ومن يفعل هكذا، لم يتخلّص بعد من الآلام الشريرة، ولا رفض ذاته، لأن الهروب من التعب هو علامة ذلك.

+ وإن رأي أحد أنه تعلّم حرفة تفيد المجمع، فلا يتركها. وإذا لم يتعلم أحد صناعة من قبل، فلا يعمل إلا ما يُصرّح له بها، ويعملها بأمانة.

+ والأصح أن نتعلّم صناعة واحدة (تخصّص) لنتقنها، بدلاً من أن نُلقِي ذواتنا في صناعات (حِرَف) كثيرة، فلا نقدر أن نُكمِل واحدة منها، لأن التنقُّل من صناعة إلي أخري يدل علي خفة القلب (عدم الصبر) إلا ماتدعو الضرورة أحدهم لمساعدة غيره، فإذا رُسِم له بذلك فليعمله.

+ وعلي المسئولين عن الأخوة ألاَّ يُغيُّروا من صناعاتهم بدون حكمة، وللضرورة فقط، وإذا رأي المدير أن ذلك صواباً.

+ ولا ينبغي للأخوة التصارع علي شيء من آلات العمل، أو يقاوموا الرئيس، فلا يُمكنه التصرُّف في استعمال أو بيع أو إعارة أو تبديل آلة، من واحد إلي آخر، أو زيادة أو إنقاص الآلات، وقد منعنا الرب من الأهتمام بذواتنا (مت ٢٥:٤٠) أو بالماديات (مت ٦: ٣١ - ٣٢).

+ وألا يعمل أحد من أجل حاجته فقط، بل ليُعطِي المحتاجين أيضاً.

✣ ✣ ✣

(٢٣) شروط الرئاسة وكيفية رعاية الأخوة؟!

• سُئِل القديس باسيليوس هذا السؤال فأجاب القديس هكذا:

+ الرئيس قُدوة صالحة، فينبغي أن يكون كاملاً، حتي لا يُعثِر الأخوة.

+ وأن يكون أولاً: متواضعاً، مُتشبهاً بالمسيح، الذي خدم تلاميذه.

+ ومن صفاته الأخري طول الروح (صبور ومحتمل) كثير الفهم (حكيماً) والنُسك.

+ يختار للخدمة (وخاصة التي بخارج الدير كالرسامة للأسقفية) من يصلح لها، حتي لا يُعثِر أحداً (١ تي ٤:١٢).

+ لا يكون محباً للتجارة، والربح (المادي) الذي يأتي منها.

+ أختيار (قائد) ثانٍ، ليحل محله في غيابه أو مرضه، وحتي لا يحدُث خلاف بين الأخوة، وحتي لا يتكلم (يتخذ القرار) إلا المُعيَّن لهذه الخدمة.

+ وأن يُتابع تنفيذ وصايا الله، حتي لا يتم إغفال أحد لها.

+ وأن يكون شكله وعمله مُقنعين للإخوة في التعليم، أكثر من الكلام.

+ وأن يَتشبَّه بالمسيح والرُسل (١كو ١١:١، مت ١١:٢٩).

+ وأن يكون متضعاً، حنوناً، مُحتمِلاً، طويل البال علي الجاهل والعاقل.

+ ولا يسكت عن الذين يخطئون بمعرفة، ولكن لا ينتهر بقسوة.

+ أن يكون متيقظاً (صاحياً واعياً) في كل شيء، وأن كل ما يعمله يكون لربح نفوس الأخوة.

+ وألا يكون قد أخذ الرئاسة لنفسه، **لكن يُختبر** من كبار رجال المجمع، بناءً علي طلب الرسول بولس بقوله: «**فليختبر أولاً**».

+ والذين يُرسلهم للخدمات خارج الدير، فليخترهم بعناية وحكمة، إذا عرف أنهم يقدرون علي هذه (المأموريات)، فلا يخسروا (يُعثِروا) أحداً من الذين يجتمعون بهم (من العلمانيين وغيرهم).

+ وأنه يُفضّل عدم قضاء حاجات الجسد، من إرسال رهبان غير روحيين (غير حُكماء).

+ وأنه متي عادوا للدير، يسألهم عن أعمالهم وأقوالهم، وأفكارهم التي كانت لهم، وهم خارج

الدير، ونوع الناس الذين التقوا بهم، وهل خرجوا عن الحدود التي أمرهم بها، أو ضعفوا في شيء، ويهتم بما زلّوا فيه (أع ١١:٤، ١٤:٢٧).

+ ولا يمضي الرئيس إلي الغُربة (خارج الدير) إلا لحاجة ضرورية .

+ وأن يكون الثاني (الوكيل) حكيماً، حتي يتعزّي الأخوة، والزُوّار الغُرباء (١ كو ١٤: ٢٣) الذين يتولي المُفوّض الردّ علي أسئلتهم.

+ ويجب أن يكون الرئيس خبيراً بالتعليم، وله تجربة ودراية بالأمور المطلوبة، وإذا ما سَهي في كلامه، فلا يُبكته آخر في وسط الأخوة بل في الخفاء، وحتي لا يتطاول الصغار علي الكبار.

+ + +

(٢٤) أي الخطايا يجب أن نُظهرها (نكشفها) لرئيس الدير؟!

- ماهو الضرر الذي يحدث نتيجة لعدم إظهار جميع الخطايا؟
- .... إذا احتقر أحد أوامر الرئيس، فهل يعلن له ذلك، وكيف؟
- وكيف يكون التصرُّف مع الذين يتذمرون في الخفاء، ويُعثِرون الآخرين؟
- وهل يجوز للجميع أن يفحصوا تدبيرات الرئيس؟ ومَنْ الجائز (المَصرَّح) له بذلك؟
- وكيف يُعالِج الرئيس أمراض (أخطاء) الأخوة؟
- وهل ينبغي أن نظهر (نعترف بـ) الخطايا للرئيس، سواء من جهة الذين فعلوها، أو من جهة الذين علموا بها أنهم فعلوها؟ أم لا ينبغي فعل هذا؟

فأجاب القديس باسيليوس وقال ما يلي:

+ كما أنه ليس جيداً أن يستر الإنسان أمراضاً (بدنية) مُهلِكة في ذاته، بل يجب أن يُعلنها للطبيب. أو أن يَعرِفها آخر، بدلاً من أن يذكرها للطبيب، لكي يعالجه.

+ كذلك هو موت (هلاك) للإنسان الذي يخفي خطيته، أو يخفيها آخر، إذا ما عرف بها (وهو نفس رأي القديس أغسطينوس، الذي يري أن ذلك ليس إدانة للآخرين) لأنه قد قيل:

* «إن شوكة الموت هي الخطية».

* «تبكيت ظاهر، أفضل من مُصادقة مخفيَّة».

+ من أجل هذا، لا يجب أن يخفي أحد خطية أخيه، لئلا يكون قاتل (مُهلِك نفس) أخ، عوضاً عن أن

يكون مُجباً للأخ[١]، وبعدم الإعلان (السلبية) يكون الإنسان مشاركاً لخطايا صديقه (أو زميله أو جاره).

+ ومن أحتقر (عدم تنفيذ) أمر الرئيس في شيء، فليتكلم معه عنه، بينه وبينه (سراً) ويُظهر له السبب (في عدم طاعته له) وإن لم يتفقا فليكن بينهما وسيط، لكي إذا ما ظهر أن ما تكلم به الرئيس بخلاف ماجاء في الكتاب المقدس، فليتخلَّصوا منه جميعاً، هما وباقي الإخوة. وإن لم يكن كما ظن، فيكون قد خلّص ذاته من الشك، لأن الرسول يقول:

---

(١) الإعلان عن أخطاء الآخرين - لآباء اعترافهم - ضرورة لعلاجهم، ولكن بدون ذم، أو تجريح، بل بهدف التدخُّل لسرعة علاج العادات الضارة قبل تمكنها من المريض بالروح (كالإدمان) والقضاء عليه روحياً ونفسياً أو بدنياً.

* «إن الذي يشك (في ذبح لحم للأوثان من عدمه) إن هو أكل، فقد شجب نفسه، لأنه صنع ذلك بغير أمانة (بغير إيمان)...» (رو ١٤:٢٣).

+ وأما الذين يتذمرون خفية، ويستمرون هكذا، لا يُظهِرون أوجاعهم (ما يضايقهم من الرئيس) بل يصيرون علة شك (عثرَة) للآخرين، ومصدراً للخلافات وغلاظة الرقبة (العناد)، فليُطردوا من المجمع، لئلا ينزلق (يسقط) بسببهم الأخوة الساذجون (البُسطاء أو القليلي المعرفة أو الحكمة) لأنه قد قيل:

* «أَخرِجُوا واحداً شريراً، فيخرج المُحزِن (المُعاند أو المقاوم معه)».

* «أنزعوا الخبيث من بينكم» (١كو ٥:١٣).

* «أن خميراً قليلاً، يُخمِّر العجين كله» (١كو ٥:٦).

+ ولا ينبـغي أن يلتـفت كل واحـد إلي تدبيـرات الرئيس، ولا يفحصها غير كبار الآباء، والقريبون من الرئيس وحدهم، لأجل رُتبتهم، وفهمهم كل الأشياء، ويناقش معهم كل الأشياء. وتُناقش معهم أيضاً الأمور اللائقة بالمجمع كله، كقول القائل:

* «اصنعوا كل الأشياء بمشورة، ليثبُت كل واحد منا، في الدعوة التي دُعيَ إليها (الرُتبَة أو الدرجة). ويهتم بالأمور المرسومة له، ولا يفحص كل واحد عن الأمور المنسوبة لآخرين، كما فعل تلاميذ السيد المسيح. فلم يسأله أحد عما تحدث به للمرأة السامرية؟ ولا عن أي شيء تطلب؟!.

+ وإذا ما تناقش أخوة وفحصوا أمراً يعرفونه، ولم يتفقوا، فلا يداوموا علي العناد والخصام، بل يرفعوا الأمر للذين يستطيعون الحُكم فيه، بأدب

وهدوء، حتي ينقطع التشويش والشك وكثرة الكلام (في الموضوع).

+ وعلي الرئيس ألا ينتهر بغضب، الذين يُخطئون، لئلا يُلقيّهم في خطايا، وقد قال القديس بولس الرسول «**علّم بوداعة**» (٢ تي ٤:٢).

+ وفي الوقت الذي يُؤدِب فيه، ينبغي أن يُطيل روحه (يصبر عليه) بالأكثر، لكي لا يظن أنه ينتقم لنفسه منه، ولكي يظهر أنه لم يُبغِض المُخطِيء، بل يُبغض الخطية (فالخاطيء مريض يحتاج لعلاج لا عقاب).

+ وعندما يُخطِيء إنسان يجب أن يُظهِر الرئيس غيرته للّه، لأن المخالف لله مُحتَقر للرب، ويجب أن تكون له محبة لخلاص نفس أخيه المُخطِيء لأنه مكتوب «إن النفس التي تُخطِيء تموت».

+ ويجب أن **يضع تأديباً يتناسب مع كل خطية**، كطبيب ماهر، لأنه لا يُعالِج بغضب بل بشفقة،

وحتي لو زاد ألمه، فإيلامه له بزيادة خير من تركه في الخطية، وهلاك نفسه.

● **والعلاج المناسب للأمراض (الروحية) يكون هكذا:**

+ مُجِب المجد الباطل، يأمره الرئيس بعمل أعمال حقيرة.

+ وإن كان يقول كلاماً رديئاً، يأمره بالصمت.

+ وإن كان ينام نوماً زيادة عما يجب، ويكسل عن صلا نصف الليل، يكلفه بعمل مُتعِب.

+ وإن كان يغضب ويتذّمر، يُبعد عن الأخوة، ولا يعمل معهم، إلي أن يتضح توبته، وأنعتاقه عن هذا الوجع (الغضب) ويعطيه عملاً آخر.

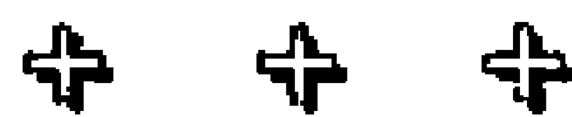
* ويجب علي المرضي (بالروح) قبول تأديب الرئيس

(أو أب الاعتراف) من غير أن يعادوه، كما يستخدم الطبيب علاجاً مؤلماً لأجل الشفاء.

* كذلك يجب أن نفكر في علاج المؤتمنين علي نفوسنا (٢كو ٢:٢، ٧:١٧).

+ ويجب أن نفكر في الربح الناتج من العلاج، لا الألم المستخدم، حيث أنه موجب للربح الأعظم(١).

+ والصناعات التي تعلّمها الأخوة ويغلطون فيها، أمرها مُفوّض إلي الذين علموُّهم لكي يؤدبوهم، وكذلك يؤَّدب من يُخطِيء إلي الرئيس.



(١) يقول مار إسحق السرياني «التجارب أبواب للمواهب» ويقول المَثَل الشائع: «خير مُعلّم هو الألم» والمَثَل الانجليزي «لا مكاسب بدون أتعاب» (No gains without pains) .

(٢٥) هل نستعمل الطب والدواء الطبي؟!

+ الطب صناعة نافعة وهبها الله لنا، لاحتياجنا إليها، كما وهبنا الزراعة والصناعة والحياكة والبناء وباقي الصناعات.

+ وبها نداوي أمراضنا الجسمانية والنفسية. وهل لو بقينا في الفردوس (جنة عدن) كنا نحتاج لعلاج طبي؟!

+ الحشائش (الطبية) المستعملة في الأدوية أنبتها الله لمنفعتنا.

+ يجب أن نستعمل الطب، ولكن من الخطأ الأتكال عليه كسبب وحيد للشفاء[٢].

+ تتنوّع طرق اللّه في معاملة المرضي (بالروح وبالجسد).

(٢) يجب أن يسير العلاج الروحي والطبي معاً، لكي تشفي النفس من أمراض الروح والجسد.

+ لا نرذل صناعة الطب والأدوية، لأن البعض يُسيء استعمالها.

● وسُئِل القديس باسيليوس عما يلي:-

+ ماهي أسباب الأمراض بصفة عامة؟ وأيضاً الأمراض التي تُصيب القديسين؟!

+ هل كل الأمراض تفيد فيها صناعة الطب والدواء؟!

+ كيف تساعدنا صناعة الطب علي النُسك؟!

+ هل يليق بصورة العبادة استعمال الطب إذا مَرِضَ بعض الأخوة (الرهبان)؟!

فأجاب القديس وقال:

+ كل الصناعات وهبها الله لنا معونة لضعفنا. فأعطانا الفلاحة، لأن النبات الكائن من غير فلاحة (زراعة) لا يكفينا، وأعطانا الحياكة (الخياطة) لعمل ملابس صيفية وشتوية. وأعطانا

حرفة البناء للمساكن، وهكذا باقي الصناعات من أجل الحاجة البشرية.

+ وقد أعطانا الرب صناعة الطب، بسبب الأوجاع الجسدانية الكثيرة والمختلفة (الأمراض) بسبب ما يدخل الجسم، أو من أسباب خارجية.

+ كما يساعد الطب في شفاء أمراض نفسية، وهناك أدوية تحِد من الشهوة الجسدية.

+ ولو كنا بقينا في الفردوس لما أحتجنا إلي تعب وعرق في الزراعة وعملياتها، ولبقينا بدون ألم. وقادت الخطية البشرية إلي اللعنة، وإلي المرض والتعب (البدني والنفسي) .

+ والنباتات الطبية لم تُنبِت إلا بإرادة الله ولمنفعتنا، سواء كانت أعشاب أو أوراق أو قشور أو ثمار أو جذور... الخ.فلا لوم علينا في استعمالها كلها (كما أكده الحكيم يشوع بن سيراخ).

+ أما التنجيم والسحر، التي يحتال بها الناس علي السُذج للعلاج فعلينا نحن المسيحيين أن نرفضها.

+ ويجب أن نتكل علي الله، وليست العقاقير هي سبب الشفاء.

+ وقال الرب أنه لا يحتاج الاصحاء إلي طبيب بل المرضي، واستخدم وسائل للشفاء، إذ صنع طيناً وطلي به عينّي المولود أعمي.ثم أرسله إلي البركة ليغسل وجهه (يو ٩: ٦ - ٧) ومرة أخري شفي المرض بإرادته الخاصة (مت ٨:٣).

+ كما يجب أن يترك المريض الخطية، التي هي سبب أساسي للمرض الروحي والجسدي أيضاً.

+ وإذا كان كثيرون قد عانوا من المرض (المُزمن) وظلوا يتعالجون طويلاً، وهم يطلبون العافية

(الصحة) باجتهاد ويترجُّونها، فلنأخذ منهم الدرس للنفس، وأن نجتهد في طلب شفاء نفوسنا من خطايانا، بالتوبة والحياة النقية.

+ ولا يجب أن نرفض - أو نرذل الأدوية - لأن البعض قد يستعلمونها استعمالاً سيّئاً (كالمُخدرات والكحوليات).

+ كما يجب أن نشكر الله علي بَركة الألم، ونبتهل إليه ليمنحنا الصبر والراحة من متاعبها.

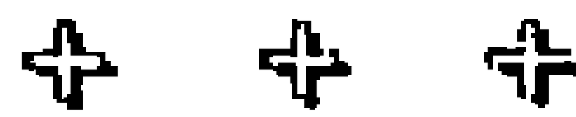
+ وقد يسمح اللّه بالأمراض، لكي يُؤدّبنا علي خطايانا. فيجب أن نتوب عنها، كما قال الرب للمفلوج «لقد شفيت فلا تعود تخطيء، لئلا يحل بك شر كالأول» (يو ٥:١٤).

+ وقد تحل الأمراض بالجسد، عندما يسمح الله للشيطان أن يحارب كبرياء إنسان، أو لإظهار فضائله، مثل أيوب الصِدّيق. أو ليعطيه الرب

أجراً علي احتماله المرض في الأرض، كما حدث للعارز المسكين (لو ١٦).

+ وقد يكون مرض القديسين ليُقيهم من الغرور، مثل الشوكة التي كانت في جسد القديس بولس(١).

+ كما أنني أري أن الطب يفيد في النُسك، لأن العلاج الطبي قد يمنع الإنسان من أكل أطعمة كثيرة (لذيذة) ويُعرِّفنا أن الصحة في تناول القليل من الطعام (الطعام المتوازن) والشراب المناسب.



(٢٦) هل نعمل شيئاً بدون شهادة من الكتاب المقدس؟!

• سُئل القديس باسيليوس: «هل يجب أن يعمل الإنسان شيئاً ـ أو يقول كلمة من

(١) راجع كتابنا «لماذا يتألم أبناء الله؟!» (طبع مكتبة المحبة).

ذاتـه ـ كـمـا يظـن أنـه جـيـد ـ بغيـر شهادة من الكُتب؟!

* «إن الـروح القـدس يهـديكم... وليـس يتكـلم مـن ذاتـه، بل الذي يسـمعـه من الروح يقـوله للناس» (يو ١٦: ١٣).

* «الكلام الذي أقـوله لكم هو روح وحـيـاة» (يو ٦: ٦٣).

* «الذي أقوله – كـمـا قـال لي أبي – كـذلك أتكلم» (يو ٨: ٢٨).

* «لا يسـتطيع الإبن (ناسـوت المسـيح) أن يعـمل شيئاً من ذاته وحده» (يو ٥: ١٩).

* «من يسمع منكم، يسمع مني...» (لو ١٠: ١٦، مت ١٠: ٤٠).

+ فإذا كان هذا التعليم هكذا، فمن هو الذي يتجرأ،

ليس فقط أن يعمل - أو يقول كلاماً - من ذاته وحده، بل وأن يضع في قلبه فكراً خارجاً عن الكُتب المقدسة، لأن الإنسان محتاج للروح القدس ليهديه لطريق الحق (الصواب) في أفكاره وأقواله وأفعاله.

+ وهو أعمي - أو ساكِن في ظُلمة، إذا عمل شيئاً بغير شمس البِّر (المسيح) الذي يُضيء نفوسنا بوصاياه المقدسة، كالشمس التي تُنير علينا.

* ولهذا قال المرنم «وصية الرب تُضِيء الأبّصار» (مز ١٨).

+ وقال الرب «أحفظ الكلام الذي أمرّتك به، ولا تُزِد عليه، ولا تُنقِص منه» (تث ١٢:٣٢).

+ فليطلب الإنسان ما ينفعه، ويفيد رفيقه معه، وأن نخضع لإرادة الله لنا.

✣ ✣ ✣

(٢٧) هل يجب طاعة كل أحد؟!

• سُئل القديس باسيليوس: «إن ربنا قال: من سخرّك ميلاً، فأمشِ معه ميلين» (مت ٥: ٤١) وعلمنا القديس بولس أن نخضع بعضنا لبعض، بخوف المسيح، فهل يجب أن نُطيع الناس في كل مايأمروننا به»؟!

+ فأجاب: «ليس لأحد أن يخالف أمراً فيه منفعة (له أو لغيره). وموسي النبي لم يُخالِف كلام صهره، فيما أشار به عليه من الخير» (خر ١٨: ٢٤).

+ ولما كان من وصايا (نصائح) الناس مايُضاد وصايا الله، ومنها ماقد يُفسِدها إذا اختلطت بأشياء رديئة. ومنها ما يُوافِق وصايا اللّه، ومنها ما يوافِق في الظاهر، وإن كانت نافعة، وموجبة لإقامة وصايا الله.

* لذلك قال الرسول بولس: «أمتحنوا (أفحصوا) كل شيء وتمسَّكوا بالأصلح، وتباعدوا عن كل شيء رديء» (١ تس ١٩ – ٢١).

* «وأنه ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس» (أع ٥:٢٩).

* «وإن الخراف لا تتبع الغريب، بل تنفر منه» (يو ١٠:٥).

* «إن كان ملاك من السماء يُبشّركم – بخلاف ما بشرناكم به – فليكن محروماً» (غل ١:٨).

✣ ✣ ✣

(٢٨) كيف نتعبَّد لله؟!

• **سُئِل القديس باسيليوس: «ماهي الصفة التي يجب أن نعبد الرب بها»؟!**

+ **فأجاب القديس وقال:**

* أنا أري أن الصفة الحسنة الأولي، **هي العمل حسب مرضاة الله.**

* والصفة الثانية تكون في الفهم (الحكمة) ومداومة تعظيم وتمجيد الله، والفِكْر الصالح المُستقيم، وتذكُر خيرات الله المُعطاة لنا، ومحبة الله الكاملة:

* «أن نحب الرب من كل القلب والنفس والفِكْر» (مت ٢٢:٣٧).

* «كما يشتاق الأيل إلي ينابيع المياه، كذلك تشتاق نفسي إليك ياالله» (مز ٦١:١).

* «من سيفصلنا عن محبة الله؟ أضيق؟ أم حبس؟ أم طرد؟ أم جوع؟ أم عُريّ؟ أم شدة؟ أم سيف...الخ» (رو ٨:٢٥).

✣ ✣ ✣

(٢٩) عن كيفية معاملة الإخوة

• سُئِل القديس باسيليوس: « ماهو الفِكر الذي ينبغي علي الرئيس أن يجعله في عقله، عندما يكلم الأخوة، ويأمرهم بالأعمال؟!»

+ فأجاب وقال:

+ أن يُراعِي رقابة اللّه، وحسب وصاياه، كوكيل لسرائره ومُنفِذ لوصاياه، لئلا يعمل أو يقول كلمة، أو يتصرَّف بخلاف مشيئة الله المعروفة في كتابه المقدس، أو يترك شيئاً مما يُرضِي الله، فيصير شاهد زور لله، ووكيلاً غير أمين، وغير حكيم (في إدارته).

+ وأما قُدَّام الأخوة، فيكون مثل الوالد مع أولاده، فيتعامل بحب›لكل واحد(يو ١٣ :٣٤) وبذل (يو ١٥:١٣) من أجل إصلاحه وتهذيبه، وليس عقابه.

• وسُئِل: بأي أسلوب يُؤدِب الرئيس، الذي يخطيء، حتي يتوب؟!

+ فأجاب القديس باسيليوس:

* كما أمرنا الرب: «إن أخطأ إليك أخوك فأذهب وبكتّه وحدكما (عاتبه)...، فإن لم يسمع من الكنيسة، فليكن عندك كالوثني والعشار»[1] (مت ١٨:١٧).

+ وإن كان يتوب فعلاً وينطبق عليه قول الرسول بولس: «يكفي هذا الانتهار الذي صار له من كثيرين» (٢ كو ٢:٦).

* «وإن كان واحد لا يسمع لكلامنا - من جهة الوصية - هذا اجعلوا عليه علامة، ألا يُخالطه أحد ليستحي» (٢ تس ٣:١٤).

✠ ✠ ✠

(١) يري القديس أغسطينوس أنه بذلك يكون جاهلاً روحياً. ويحتاج إلي تكرار محاولة الصلح.

• **وسُئِل القديس: «إذا ضيّق الرئيس علي الخاطيء، وأمره بأن يتوب عن الخطايا الصغار، ألا يُعَدّ ذلك قلة محبة وقلة رحمة؟!»**

+ فأجاب القديس وقال:

* قال ربنا يسوع: «لا يزول حرف واحد - أو نقطة واحدة - من الناموس» (مت ٥:١٨)، فكل حرف وكل نقطة هامة جداً في تعاليم الله.

* «وكل كلمة بطالّة يقولها الإنسان، يُعطيَ عنها جواباً يوم الدين» (مت ١٢:١٦).

+ إذن لا ينبغي ألا نحتقر خطية ما، لأنها صغيرة[1]!!

(١) الخطايا كلها هي: «تَعدٍ علي قداسة الله الغير محدودة» ولهذا لا توافق المسيحية علي تقسيمها إلي صغائر وكبائر، لأن «من أخطأ في واحدة، صار مُجرماً في الكل» (يع ٢: ١٠) لكن هناك هفوات (سهوات) قد يفعلّها المرء بدون معرفة (١ يو ٥:١٦).

+ وأية خطية كيف نتجرّأ ونقول أنها صغيرة؟!!
والرسول بولس يقول:

* «إذا ما خالفت الناموس فأنت تشتم الله».

* «وشوكة الموت هي الخطية» (١ كو ١٥:٥٦).

إذن فالرسول لا يذكر خطايا صغيرة أو كبيرة.

+ وأن الذي لا يوبخ الخاطيء هو القليل المحبة (والرغبة في خلاص نفسه).

+ كما أن الذي ينظر إلي شخص وقد لدغته حية (ثعبان) ولا يُسرع بعملٍ ما، يمنع سُمّها من أن يصل إلي قلبه، ولو كان بأدوية مؤلمة أو بآلة حادة. فإن الذي لا يعمل هذا، لا يُعَدّ مُحباً، بل هو مبغِض، كما هو مكتوب:

* «من يمنع عصاه، يُبغِض إبنه، ومن يحب إبنه هو يؤدبه» (أم ١٣:٢٤).

+ وسُئِل القديس: «بأي نوعٍ (كيف) ينبغي أن يتوب الخاطيء»؟!

+ فأجاب قائلاً: أن يتشبَّه الخاطيء بقول داود التائب، والنادم بشدة:

* «أبغضْتَ الشر ورذّلتَه (وليس مجرد تركته)، وناموسك أحببّته» (مز ١١٨)·

* «أُعوّم في كل ليلة سريري بدموعي» (مز ٦:٦٩)

+ وأن يتضاعف بِرّه، كما فعل زكا العشّار (لو ١٩:٨)·

✣ ✣ ✣

+ وسُئِل القديس: «ماهي الثمرة الموجِبة للتوبة؟!»

+ فأجاب: «هي أعمال البّر (الخير) المُضادة

للخطية، لأن التائبين يثمرون بكل عمل صالح بالمسيح يسوع، كما هو مكتوب.

+ **وسئل القديس باسيليوس: «إن الذي يعترف بفمه فقط بالتوبة ولا يترك الخطية، كيف يكون أمره»؟!.**

+ فأجاب مكتوب: «أنه إذا سألك عدوك بصوت مرتفع، فلا تسمع منه، لأن سبعة شرور في قلبه. وكما أنه إذا عاد كلب إلي قيئه تكرهونه، كذلك الذي يعود إلي الخطية بعد أن تركها، يكرهه اللّه»!! (ويستحق عقاب أبدي).

✠ ✠ ✠

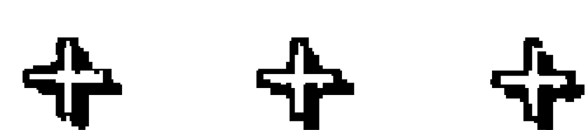
• **وسئل أيضاً: «الذي يريد أن يعترف بخطاياه: هل يجب عليه أن يُظهِرّها أمام كل أحد؟!».**

* فأجاب: الخطية هي مخالفة الله، وهو يريد

توبة الخاطيء، وثمرَة التوبة (لو ٢:٨) هي الاعتراف بها للذين أوتمنوا على ممارسة أسرار الله (آباء الاعتراف الحُكماء) .

* وكان الناس يعترفون بخطاياهم ليوحنا المعمدان (مر ١:٥).

* وللرسل الذين كانوا يُعمدُّونَهم (أع ١٩:١٨).



• وسؤال عن الذي يتوب عن الخطية ثم يعود ليسقط فيها دفعة أخري، ما موقفه؟!

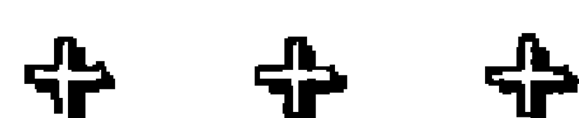
+ فأجاب القديس بأن من يفعل ذلك لم ينَزع أصل الخطية (من قلبه) كالذي يقطع أغصان شجرة، ويترك الأصل ثابتاً في الأرض، فيعود ينبُت من جديد[1].

---

(١) ضرورة الابتعاد عن مكان العثرة، وأشخاصها وظروف السقوط السابقة.

+ وبعض الخطايا تتولد من خطايا أخري، كالحسد والعناد والمقاومة وقساوة القلب والغضب.

+ فالذي يحب مجد الناس، إذا رآهم يمجدون غيره – أكثر منه – يحسده ويقاومه. ويجب أن يقطع الأصل بالتواضع، الذي يثبت بملازمة الأمور المحتقرة. وهكذا ينبغي أن نصنع في باقي الخطايا.



+ وسُئِل القديس: «ماهو الفِكر الذي ينبغي للرئيس أن يجعله في قلبه، عندما ينتهر أخا؟!».

+ فأجاب: أما قدّام الله، فكقول داود: «رأيت الذين بلا فهم (حكمة) وحزنت لأنهم لم يحفظوا قولك» (مز ١١٨).

+ وأما مع الذين ينتهرهم، فيكون في حنان الآباء علي بنيهم، ومثل طبيب يعالج إبنه.

+ وسُئِل عن شعور الشخص الذي يجب إنتهاره عن سوء فعله؟

+ فأجاب بقوله: كما يليق بإبن مريض شديد الرغبة في الصحة والعافية، وأبوه طبيب جيِّد..

+ فيجب أن يتعالج لدي والده، ولا يكره مُداواته بأدوية كريهة (مُرَّة) لمعرفته لمحبته، وجودة طِبّة، ولتألمه من المرض، ولكراهيته له، ورغبته الشديدة للعافية (ولا يتضايق من التأديب).



+ وسُئِل عن رأيه في الخاطيء الذي يحزن من الذي يؤدِّبه؟

+ فأجاب: هو شخص **غير حكيم**، لا يعرف الخطر الداهم للخاطي، ولاسيما المُخطِيء إلي اللّه. ولا يعرف مقدار الربح العظيم الذي سيحصل عليه من التوبة. ولا يُصدِّق القائل:

* «إن من يحب إبنه يُؤدِّبه» (أم ١٢: ٢٤، عب ١٢: ٦).

* «إن البار يُعلِّمني برحمة ويُبكِّتني» (مز ١٤٠).

+ ومن يسلك بهذا الأسلوب (التضايق من التأديب) يخسر الأخوة (ويخسر نفسه بالطبع).

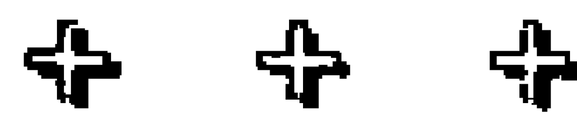
+ + +

+ وسُئِل: ماهي دينونة الذي يُحامي عن المُخطيء، ويُخاصِم الناس معه؟!

+ فأجاب: إن دينونته ثقيلة، أكثر من الذي يُعثِر غيره، لأنه يمنع المُخطيء من أن يتوب، ويجعله يَثبُت في خطيته، ويعرف غيره شره.

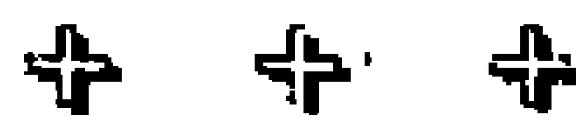
+ وينبغي أن يُخرَج من الدير، كقول الرب: «إن

أعثرتك عينك اليُمني فاقلّعها وألقها عنك» (مت ٥:٢٩)[1].



• **وسُئِل القديس: «كيف نقبل الشخص الذي يتوب جيداً؟!»**

+ فأجاب، كما قال الكتاب: إنه يدعو أصدقاءَه وجيرانه ويقول «افرحوا معي، فقد وجدتُ خروفي الضال» (لو ١٥:٦)[2].



---

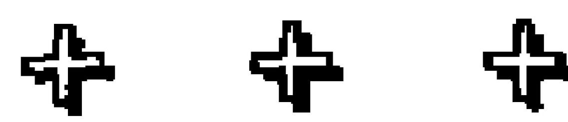
(١) كلام الرب هنا «**رمزي**» فالعين هنا إشارة إلي الصَديق الشرير، الذي يجب سرعة قطع كل علاقة به، حتي لا يسقط الإنسان بعثراته له، وحتي ولو كان غالياً عليه كعينيه، لأنه ينبغي إبعاد الخبيث، حسب نصيحة القديس بولس (١كو ١٥:٢٠).

(٢) وراجع مَثَل «الإبن الضال» (لو ١٥).

• وسُئِل القديس باسيليوس: ماذا نصنع مع الذي لا يتوب»؟!

+ فأجاب: نصنع كما قال الرب يسوع: «إن لم يسمع من الكنيسة (الكاهن) فيكون عندك كالوثني والعشار» (مت ١٨: ١٧)[١].

* وعلمنا الرسول قائلاً: «تباعدوا عن كل أخ يمشي بغير أدب، وليس كالتعليم الذي قبلتموه منا» (٢ تس ٣: ٦).



(٣٠) أسئلة حول المُقتنَيات

• سُئِل القديس باسيليوس: هل يمكن للراهب أن يحتفظ لنفسه بشيء، ويذكر أنه له وحده؟!».

* فأجاب، مكتوب: «إن الذين آمنوا لم يكن أحد

---

(١) ويري القديس أغسطينوس أنه ينبغي محاولة طلب الصُلح مرات أخري، لأنه مريض بالروح ويحتاج لمزيد من الحب والرحمة لجهله الروحي، كالعشار والوثني.

يقول عن شيء أنه له (وحده) بل كل ما كان لهم **كان مشتركاً، وكانوا بقلب واحد ونفس واحدة»** (أع ٤:٣٢).

+ فالذي يقول عن شيء إنه له وحده، قد صار غريباً عن كنيسة اللّه، وعن محبة اللّه، التي أظهرها – له المجد – بالقول والفعل، حتي أنه أسلّم نفسه (ضحّي بحياته) عن أحبائه، ولاسيما أشياء هذا العالم (الماديات) الفاسدة.

• وسُئِل القديس: «إذا قال واحد: «إني لا أخذ من الأخوة شيئاً، ولا أُعطِي شيئاً، والذي لي يكفيني» فماذا نصنع له؟!»

+ فأجاب: «إن كان أحد لا يطيع تعليم الرب القائل: «حبُّوا بعضكم بعضاً، كما أحببتكم». فنحن نسمع قول الرسول: «أنزعوا الخبيث من بينكم» (١ كو ١٥:٢٠)[١].

(١) ويقصد أن يعيش الكل في تعاون، وليس في أنانية فردية.

(٣١) دينونة الله للمخالفين لوصاياه

• محتويات المقالة:

+ ضرورة السلوك بتدقيق في التصرُّف، مع ملاحظة مايلي:-

+ أية خطية مهما كانت (تافهة في نظر البعض) كافية لهلاك الإنسان الغير تائب.

+ الأبرار والقديسون لم يتساهل الله معهم، حتي في الخطايا الطفيفة.

+ يستحِق المرء العقاب علي الخطية، وعلي عدم فعل الخير، إذا كان ذلك في مقدرته. أو يعاقبه علي التساهل مع خطايا الآخرين (كمسئول عنهم).

+ العقاب الشديد في العهد القديم، حتي علي خطايا قد تبدو صغيرة، فقد تم رجم أحاز لأنه جمع حطباً يوم سبت، ورجم عاخان وأهله لأخذه من أسلاب الحرب، وبرص مريم أخت موسي، لما قالت كلمة عن موسي بغير أدب، مع أن ما قالته

كان حقيقياً، ورغم شفاعة أخيها عنها. وموسي أيضاً حُرِم من أرض الموعد، لأنه قال كلمة صغيرة للشعب المُتذّمر لقلة الماء. وغضب الرب علي عالي الكاهن لأنه تساهل مع إبنيه، ولم يعاقبهما بشدة علي سوء سلوكهما.

+ فالعادات الرديئة تستحق العقاب، كالغضب واللعن والسُكّر. وذكَر الرسول بولس أن الذين يفعلونها يستحقون الموت (الهلاك الأبدي).



(٣٢) عن شهوة الكهنوت والرئاسة الدينية

+ ينبغي للراهب ألا يشتهِي أن يصير كاهناً، أو يَرغب أن يكون رئيساً علي أحد.

+ ولا يليق ذلك بالناسك، لأن محبة الرئاسة (الدينية) مرض شيطاني. فإن الشيطان قد سقط، لأجل هذا المرض الرديء (الكبرياء).

+ والذين يميلون إلي الرئاسة يلحقهم التعب، لأنهم

يصيرون حسودين، مُحارَبين، نمامين، غير مُؤدَبين، كالشياطين الذين يخدعون ويفعلون الشرور في سبيل تحقيق هذا الهدف.

* فلنهرب من هذه الشهوة (السعي نحو المناصب).

+ وإذا أراد الرب أن يُقيم رئيساً، فهو وحده الحكيم العارف بمن يُقيمه.

+ فلا تدع هذا المرض يقترب منك، لأنه نوع رديء، وقتاّل للنفس، ومُبعِد عن الخير.

✠ ✠ ✠

(٣٣) عن التقدّم في حياة الطاعة الكاملة

+ إذا كان الذي دفع ذاته لكي يتعلّم صنْعة (حِرْفة) حقيرة (عالمية)، تنفعه زماناً قليلاً في هذا العالم، يسمع من مُعلمه كل شيء، ولايُجادله، ولا يُفارِقه، فكيف لا ينبغي للذين يتقدمون لتعلّم طرق العبادة أن يُظهِروا كل طاعة لرئيسهم، ليتعلموا منه، بسماعهم منه، وطاعتهم له من

غير مُجادَلة، ومن غير أن يعرفوا سبب أمره لهم؟! (وإبن الطاعة تحل عليه البركة).

+ + +

(٣٤) عن ضرورة الارتباط بالمجمع

+ إنه لا يجب علي الذين دخلوا في الأخوَّة الروحانية، ألاَّ يتركوا عنهم إخوتهم، فيخرجوا من المجمع، فهؤلاء لا سلطان لهم (لا يُصرّح لهم) بالانفصال، أو بالافتراق عنهم.

+ **ولا يجوز التوُحّد الخاطيء**، أو الزعم بأن أعضاء المجمع أردياء، فلم يفترق الرسل عن بعضهم في مجمعهم، لأجل خُبث يهوذا (الأسخريوطي) وأن افتراقه كان من قلة ثباته (في النعمة).

+ ولماذا لم يُتشَبَّه بالطوباوي «نوح» الذي لم يهرب من كل جيله الشرير. وحفظ العبادة، وهو ساكن وسط الخطية، إلي أن أفناهم الطوفان.

+ وإذا أجتمع أثنان أو ثلاثة، باسم المسيح، يكون في وسطهم، حسب وعده.

+ وسـيـرتنا هـي أننا لا نفتـرق عن المجمـع (الدير) الذي لبـسـنا فـيـه الإسكيـم (زي الرهبنة)٠ وألا يقتني أحد منا شيئاً (مادياً) لذاته وحده، وألا يصنع شيئاً (ضد الجماعة) في الخفاء، ولا يعمل عملاً منه وحده

+ وينبـغي أن ننقي داخلنا من جـمـيع أدناس الأفكار، كالمكر والحسـد والمقـاومـة. فـإن هذه الشـرور تقلع المحبة (من القلب) وتُبعِد الله عنا٠

+ وإذا سمح اللّه أن تُصيبنا أتعاب وتجارب، لكي نتوب ونقوّم سيرتنا. فلا نضجر أو نتذمر، أو نفكر ردياً، وأن نشكر الله - الطبيب الصالح - الذي يستخدم أدوية بها نتّطهر من الكسل والخُبث. وأن امتحانات الله نافعة كما حدث لإبراهيم وأيوب٠

+ ولا يتوقف النُسك عن مجرد الابتعاد عن الأطعمة فقط، وإنما بالابتعاد عن النظر الرديء، وعن سماع الكلام الباطل، وكلام الجهل، والأفكار الشريرة، كما علّمه لنا إشعياء النبي (راجع إش ٥٨)٠



• سُئِل القديس: «هل النُسك الحقيقي لازم للعبادة»؟!

فأجاب: هو لازم، كما مارسه الرسول بولس، وجاهد بتعب وألم وسهر وجوع وعطش.

+ وأن الاهتمام بالطعام يُحرِّك شهوة الجسد. وجميع القديسين عاشوا بالنُسك ولم ينساقوا وراء لذة الطعام، بل حسب الحاجة فقط (أع ٤:٣٥).

+ وقد قال الرب: «ويل لكم أيها الشباعَي» لأن الامتلاء بالأطعمة يُثقِل الجسد (ويدفعه للكسل والنوم) وينطبق عليهم القول: «آلهتهم هي بطونهم».

+ فليُعطَ الجسد مايحتاجه، لئلا يخور في الطريق. وأن نختار من الطعام أسهله وجوداً، ولا نطلب أصنافاً غير موجودة، ونستعمل ما يستخدمه الكل، والذي ثمنه قليل، وهذا نقبله بشكر.

+ وأما الأشياء الصعبة الوجود، والتي يؤتي بها من أماكن بعيدة - كالزيت وما يُشبهه - ومايصلَح

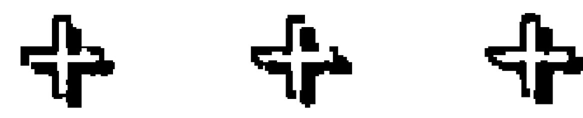
للمرضى، فيؤخذ منه القدر الضروري لحاجة الجسد، خاصة وإن كان الحصول عليه سهلاً، وغير مُقلقٍ للغير.

● سُئِل القديس: «ماهو الذي ينبغي أن نقدمه من الطعام للزُّوَّار»؟!

+ فأجاب: المجد الباطل (محبة المديح) هو طلب مرضاة الناس فقط، وكل ما يُعمَل لإظهار الافتخار. وأخاف أن نُقلِد أهل العالم في هذا. والغريب يكون عارفاً بمائدتنا، وأننا نأكل طعاماً بسيطاً، لأننا تركنا مائدة المسيحيين (الآباء) القُدماء، وإن لم تعجبه مائدتنا، ولا يكتفي بها، فإنه لن يعود يتردَّد علينا. ويجب أن نحزن علي أمثال هؤلاء الأغنياء، الذين لم يفكروا في غذاء الروح، وأهملوا الخيرات الدائمة المنتظرة (في عالم المجد).

+ ولا يجب تغيير ملابسنا، فنرتدي ملابس فخمة وقت الاجتماع بالمفتخرين بالأرضيات، ولا نعمل لتمجيد الناس، بل لتمجيد الله، كما قال القديس بولس الرسول.

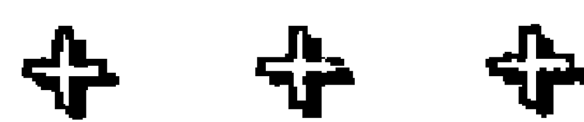
+ ومع ذلك ينبغي إكرام الغُرباء، ولاسيما الجياع والمساكين.



• كيف يجب أن يجلس الأخوة على المائدة؟

+ فأجاب القديس باسيليوس وقال: «لقد أمر الرب أن نختار الموضع (المُتكأ) الأخير. وعلّمنا «التواضع» في كل شيء. فيجب أن نتدرب على الأتضاع، ولكن لا يجب ألا يُقاوِم أحداً ويتمسك واحد بالموضع الأخير، على زعم إكمّال الوصية الإلهية، فإن هذا مرذول وينزع الاحترام، ويهدم الترتيب وهو بعكس التواضع، لأنه مُوشِر للعظَمة.

+ ولنترك الأمر لمدبر الأخوة (بالخضوع للترتيب الموضوع)، فإن عدم الطاعة هو الكبرياء، ولهذا يجب أن نجلس في المقدمة، إذا ما أُومِرنا بذلك.

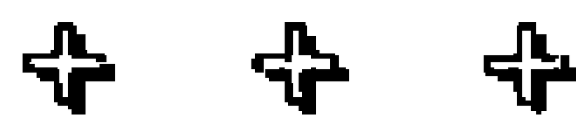


• وسُئِل القديس: «ماهو اللباس الذي يناسب الراهب؟!»

+ فأجاب: يجب أن نهتم بأن نعطي للجسد الكفاف فقط، وأن نأخذ الأشياء السهلة المأخذ، والقليلة الثمن، بغير قلق، ولا هَمْ، ولا نقلد أهل العالم.

+ وينبغي أن يكون اللباس واحداً لجميع الأخوة. وأن نتشبّه بيوحنا المعمدان المُتضع العظيم، والذي كان لبسه من وبر الأبل، وطلب الرسول أن يكون اللباس لمجرد ستر الجسد.

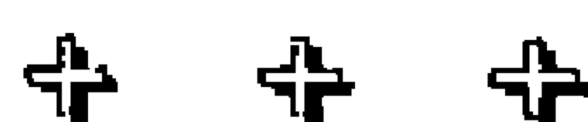
+ وأنه يكفي أن يكون لنا ثوب واحد، كما قال المعمدان: «من له ثوبان فليعطِ لمن ليس له» [وقال القديس بولس: إن كان لنا قوت وكسوة، فلنكتفِ بهما»].



• وسُئِل القديس: «هل ينبغي أن يُصدِق الإنسان كل ما يسمعه» (من عظات)؟

+ يجب أن نُصدِق وأن نتعلّم من الكُتب (ومن القراءات) لنكون طائعين لقول القديس بطرس الرسول:

* «كونوا مُستعدين لمُجاوبَة كل من يسألكم عن كلمة، من أجل الرجاء الكائن فيكم» (١ بط ٣:١٥)، ولا نجاوِب من أفكارنا، لئلا يتشكك (يعثر) أحد، بل نورد أقوال ربنا وأنبيائه ورسله وقديسيه.



(٣٥) هل كل الخطايا تستحق عقوبة الموت؟!

• سُئِل القديس باسيليوس «هل الذي يَعصِي أمراً ما، يستحق الغضب (الإلهي) والموت (الهلاك)؟! وكيف فَرَض الرب علي بعض المعاصِي عقوبة دون غيرها؟!

+ فأجاب: قال يوحنا الإنجيلي: «من يؤمن بالإبن، فله حياة أبدية، ومن لا يؤمن بالإبن - أي بطبيعته الإلهية - لن يري الحياة، بل يحل عليه غضب الله».

+ وقد أضاف إلي بعض الوصايا وعيداً، كوصية القتل، إذ حُكِم علي أقل أسبابها بنار جهنم، وبعضها أكتفي الرب بأن ذَكر أن الذي يفعل السبب، فقد

فعل المُسَبِب، كقوله: «من ينظر إلي إمرأة ويشتهيها، فقد زني بها في قلبه».

+ ثم أنه قال بصفة عامة «إن لم يزد بركمّ علي الكتبة والفريسيين، لا تدخلوا ملكوت السماوات».

+ ثم لما أكمل (العظة علي الجبل) تكلم عن الجاهل الذي يبني بيته علي الرمل، فيكون سقوطه عظيماً (مت ٧).

+ فقد علّم الرب أن قصده، هو أن عقاب المخالفة (المعصية) عظيم (شديد).وأن التهديد - المذكور في بعض المواضع - ينطبق علي كل الخطايا.

+ وهذا نعلمه أيضاً من كلام الرسل - العارفين بالأكثر بمقاصد كلام الفادي - فإن الرسول بولس ينهي - في بعض المواقع - عن الخطايا، ولا يذكر عقوبة مثل قوله:

* «كل مرارة وكل حنق (سخط) وكل صراخ وكل افتراء، انزعوه منكم مع جميع الشرور».

+ وفي موضع آخر، يذكر الرسول بعض الخطايا، ويشير إلي عقوبتها مثل قوله:

* «لأنه لا زانٍ، ولا عابد وثن، ولا فاسق، ولا سِكيّر، ولا شتّام، ولا خاطف، يرثون ملكوت اللّه».

+ وفي موضع آخر قال بالتفصيل «عن الأشرار الذين لم يعرفوا اللّه أسلمّهم....، ليعملوا ما لا يجب، ممتلئين من كل شر وخُبث... الخ» ثم يقول:

* «لإن الذين يصنعون هذا كله يستحقون الموت (الهلاك الأبدي)...» وقد أوجب علي كل هذه الخطايا الموت، **ولم يميّز خطية عن أخري**.

* وقال ربنا يسوع المسيح: «مَنْ جحد (رفض) كلامي، له مَنْ يدينه: الكلام الذي قلته هو يُدينه، في اليوم الأخير». فبقوله «**كلامي**» يعني الرب جميع ما قاله، ولم يُميِّز بعضه عن البعض الآخر.

+ وكتب موسي النبي – في التوراة – وصايا كثيرة، ولم يكتب عقوبة من يخالفها في موضعها، وإنما كتب في الآخر: «ملعون كل من لا يثبت علي جميع ما كُتب في سفر هذا الناموس» (الشريعة).

+ وفي موضع آخر يقول «ملعون كل من يعمل عمل الرب بتوانٍ» (برخاوة).

+ فإذا كان الذي يعمل بتوانٍ ملعون، فالذي لا يعمل (عمل الله) البتة، فأية لعنة يستحقها؟



(٣٦) عن الطهارة الواجبة قبل التناول

• **سُئِل القديس باسيليوس: هل هناك عقوبة لمن يأكل من جسد المسيح ويشرب دمه ولم يتطهر أولاً (يعترف ويتوب) من كل دنس الجسد والروح؟!».**

* فأجاب: إنه من الواضح لجميعنا – في ناموس موسي – أن الرجل الذي يجرؤ أن يدنو إلي القدس وبه نجاسة، فإنه يُستأصل من شعبه.

+ وقد أكد الرسول أن ذلك كان لهؤلاء (اليهود) مثالاً، ولنا تأديباً (تعليماً).

+ وإذا كان الله قد حدّد العقاب الشديد علي مجرد من يدنو - وهو نجس الجسد - من ذلك الهيكل القديم، فكم بالأكثر تكون عقوبة مَنْ يدنو - وهو دنس - إلي جسد الرب يسوع، القائل بفمه ذاته: «ههنا أعظم من الهياكل»؟!

+ وقد صرح الرسول بولس: «إن الذي يأكل من هذا الخبز، ويشرب من هذه الكأس - التي للرب - بغير أستحقاق (بلا توبة) **يكون مُجرِماً في جسد الرب ودمه**» (١ كو ١١:٢٧).

+ وقد أظهر لنا بولس الرسول أيضاً عِظَم تلك الدينونة بقوله: «لأن الذي يأكل ويشرب بدون أستحقاق (بتهاون وعدم توبة من القلب) فهو يأكل ويشرب دينونة لنفسه،إذ لم يُمَيِّز جسد الرب ودمه».

✠ ✠ ✠

(٣٧) عن الجهاد والاحتمال فيما نؤتَمن عليه

• **سُئِل القـديس باسيليـوس: هل يجب علي الإنسان أن يصبر علي كل تجربة، حتي ولو كان فيها الموت، وخاصة بسبب ما أُوتمِنا عليه؟!»**

* فـأجـاب: «إن ربنا يسـوع دفـع ذاته للمـوت عن خلاص العالم، وتم ذلك بإرادته (يو ١٨: ٤) فماذا ينبغي أن يكون لنا نحن البشر؟!:

+ أن نصبـر – من أجل الله – علي كل مـا يأتي علينا من الآلام، الملائمة لطبيعتنا (حسب قُدرتنا). فإذا صبرنًا طائعين له، يُبطِل قوة العدو، ويكون **الألم بَركة من الله** (فيلبي ١: ٢٩).

+ وقد عـاني كل الرسل في خدمتهم، التي أُؤتمنوا عليها، فخدموا بفرح ونشاط وصبر، ولسان حالهم يقول مع الرسول:

* «مـاذا يفصلّنا عن محبة المسيح؟ أضيق؟ أم حبس»... الخ.(رو ٨: ٣٥ – ٣٩).

* وقال ربنا يسوع المسيح: «مَنْ يُحبّني يحفظ وصاياي» (يو ١٤: ١٥).

* وقال أيضاً: «أنتم أحبائي، إن عملتم ماأوصيتكم به».

+ فالإنسان حُرّ، فيما يرغب أن يفعل، وتنفيذ الوصية بحب وليس بالغصب، وعلي ذلك يُثاب أو يُعاقب.

+ إذن، فلنتشبه بالرب يسوع وبرسله، وإذا ما أقتّفينا أثر القديسين، قدّرنا بمعونة اللّه (بوسائط النعمة) أن نحفظ وصاياه حتي الموت، فندخل إلي الحياة الأبدية، ونرث ملكوت السماوات، كما وعدنا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي له المجد الدائم، إلي الأبد، آمين.

+ + +

تم بحمد الله

الفهرست	الصفحة

الفهرست	الصفحة
(٢١) هل تعطِّل الصلاة العمل؟!»	١٥٣
(٢٢) ماهي القوانين والصفات للعمل اليدوي للرهبان؟!	١٦٤
(٢٣) شروط الرئاسة وكيفية رعاية الأخوة	١٧١
(٢٤) أي الخطايا يجب أن نُظهِرها (نكشفها) لرئيس الدير (أو أب الاعتراف)؟!	١٧٥
(٢٥) هل نستعمل الطب والدواء الطبي؟!	١٨٣
(٢٦) هل نعمل شيئاً بدون شهادة من الكتاب المقدس؟!	١٨٨
(٢٧) هل يجب طاعة كل أحد؟!	١٩١
(٢٨) كيف نتعبَّد لله؟!	١٩٢
(٢٩) عن كيفية معاملة الإخوة	١٩٤
(٣٠) أسئلة حول المقتنيات المادية	٢٠٥
(٣١) دينونة الله للمخالفين لوصاياه	٢٠٨
(٣٢) عن شهوة الكهنوت والرئاسة الدينية	٢٠٨
(٣٣) عن التقدُّم في حياة الطاعة الكاملة	٢٠٩
(٣٤) عن ضرورة الارتباط بالمجمع	٢١٠
(٣٥) عن هل كل الخطايا تستحق عقوبة الموت؟!	٢١٦
(٣٦) عن الطهارة الواجبة قبل التناول	٢١٩
(٣٧) عن الجهاد والاحتمال فيما نُؤتمن عليه	٢٢١

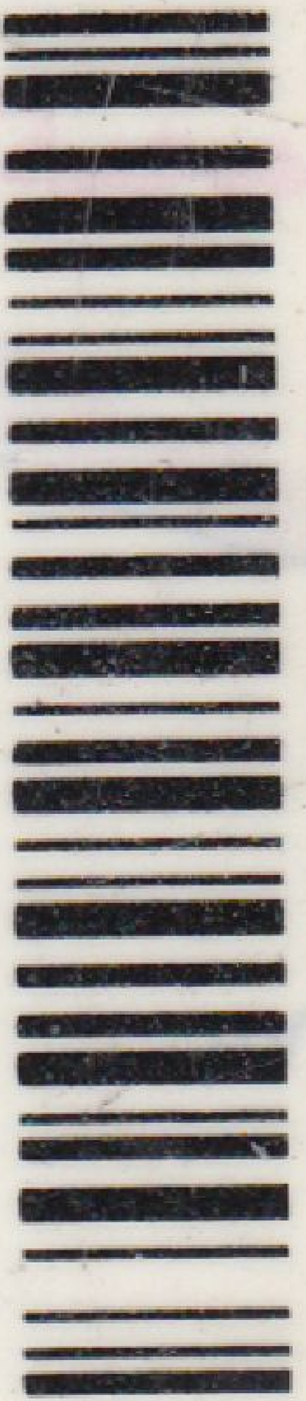
هــذا الكتـــاب

يتناول سيرة حياة القديس "باسيليوس الكبير"، وأهم كتاباته، وخدمته ، وإجاباته عن أسئلة كثيـرة، هامة وعامة، تمس مختلف أوجه العبادة، والتكريس، وعن التعامل مع النـــاس، وكيفيـــة استخدام وسائط الخلاص.

وهو مُقَدَّم بطريقة مُنسَّقـــة مع شـــرح ، وتبسيط للمفاهيم الروحية واللاهوتية، المُشاراليها فى الكتاب مع التعليق والإضافات اللازمة لمزيد من الإيضاح.

وهو بأسلوب سهل، ويصلح لكل الأعمار، والمستويات الروحية فى مصر، وبلاد المهجر.

أطلب باقى مجموعة أقوال الآباء من مكتب



٣٠ ش شبـرا - القاهـرة - مصـر
تليفون وفاكس: ٥٧٧٧٤٤٨٠ - ٥٧٥٩٢٤٤ ت:
E-mail: Mahabba5@hotmail.com

٥/١٧٦